مناقب علي بن أبي طالب
(عليه السلام) بلسان أعدائه وفي نظرهم

عماد علي الهلالي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

الناس بحاجة إلى علي بن أبي طالب

يمر مجتمعنا العربي والإسلامي والمجتمع البشري عموماً بأزمة جهل في موضوع مهم جداً، وهو الجهل بالنفس، وبالتالي الجهل بالهوية المجتمعية والدينية والثقافية؛ لأن من جهل نفسه كان بغيرها أجهل.

فالإنسان اليوم يجهل ما هي الإنسانية، فلا يعرف منزلة إنسانيته التي جمعت خير كل العوالم، وينحدر بسبب جهله هذا إلى مهاوي سحيقة من التردي في الذنوب واستصغار الذات والذلة للأعداء، ولو عرف إنسانيته وعرّفها لغيره بأنها قاع الجنة التي يمكن غرسها بأشجار الفضائل وقلع أشجار الرذائل منها؛ لو عرفها لغيره بوضوح لاتفق الجميع على السير في طريقها ولما ضلت به السبل.

ولا نريد بالتعريف بالإنسانية التعريف الفلسفي الذي لا ينال بسهولة ولا ينفع تصوره في تحقيق البناء النفسي، ولا التعريف العلمي الذي لم يزل يجهل مراتب النفس العليا، بل يجهل

حقيقة الجسد الظاهري للإنسان، ولا مصطلح الإنسانية الذي تلوكه الألسن التي تدعي الحداثة وهي تتراجع إلى البهيمية والجهل..

فالتعريف بالنفس هو بين صفات الإنسان الكامل الواقعي الذي نزل من عالم المثاليات إلى أرض المجتمع بل اتخذ منزلته في كل نفس، فصار قريباً منها معروفاً لديها يعلم كل إنسان أنه الحق.

ولقد تجلى الإنسان الكامل في علي بن أبي طالب في أبهى صورة، لم تصل إليها أوهام الذين سطروا الأساطير، ولم تبغها قصص أخيل وعنترة بن شداد وهرمس وغيرهم من أبطال الشعوب.

ولقد جمع الله في علي بن أبي طالب (عليه السلام) من الكمالات ما لم يجتمع في شخصية أخرى غير رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فهو الحكيم الفيلسوف، والواعظ الزاهد، والمقاتل الشجاع، والفقيه العالم، والخطيب الأديب، والسياسي الذكي، ..

وكأنما أراده الله أن يكون رمزاً يتحدث به الناس كل يوم ويقتدون به في حركاته، فتتحدث المجالس ببطولاته وتعلم الأم ولدها كيف يتصف بصفاته، ويدرس العلماء أفعاله وأقواله وسيرته وكلماته لتكون عيناً صافية لكل خير.

ولا يمكن إحصاء فضائل علي بن أبي طالب التي ذُكرت له والتي وصلت في زمان هارون العباسي إلى أكثر من خمسة عشر ألف حديث، وكما عجز عن وصفها محمد بن إدريس الشافعي إذ قيل له: ما تقول في علي؟ فقال: (وماذا أقول في رجل أخفت أوليائه فضائله خوفاً، وأخفت أعداؤه فضائله حسداً، وشاع من بين ذين ما ملأ الخافقين)[1].

وقد ارتأيت في هذه السلسلة الرمضانية أن نتحرى عن فضائل علي بن أبي طالب من لسان أعدائه؛ لعدة مزايا خطرت في أذهاننا يوم الشروع في البحث أول مرة وتتحقق بها الأهداف التي تقدمت في مستهل الكلام:

أولاً: ما كنت أتوقعه من إن فضائله على لسان أوليائه كثيرة جداً لا يمكن لي إحصاؤها وتقديمها للقراء في مواقع التواصل الاجتماعي، فقلت في نفسي أن فضائله على لسان أعدائه -بلا شك- أقل بكثير؛ لمعارضة ذكر تلك الفضائل لمصالحهم، إلا أنني مع ذلك وجدت أنها أيضاً كثيرة لا يمكن الإحاطة بها جميعاً، فاقتصرت على عينات منتقاة منها.

---

(١) حلية الأبرار، هاشم البحراني: ج ٢ ، ص ١٣٦، وحكيت عن الشافعي نفسه، وعن أبي حنيفة النعمان مثلها.

ثانياً: إن مناقب علي بلسان أعدائه ستتجاوز احتمالية مبالغة أوليائه في وصفه، فإذا كانت نفسية المحب تجعل هناك احتمالاً أن يضيف من عنده تفاصيل غير حقيقية أو يتجاهل معايب لا تنسجم مع ولائه، فهذه الدوافع لا تتوفر في نفسية العدو التي يبحث عن النقائص ويفتري ما لا يوجد منها.

ثالثاً: إن التأريخ لم يكن في صالح علي بن أبي طالب والحسد والعداء له كان في حياة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وكان يُسَبّ على منابر بني أمية لسبعين سنة حتى شبت الأجيال على شتمه وبغضه، ومع ذلك خرج من بين أصابع مؤرخي السلطة ومتملقيهم من الفضائل لعلي بن أبي طالب ما يبهر العقول، فما بالك لو أنصفه التأريخ والمؤرخون؟

وإذا كان للأجنبي عن الأمة الإسلامية أن يشكك في فضائل النبي محمد (صلى الله عليه وآله) لأن الدولة قائمة على الشهادة له بالنبوة، واضطرار الحكام للثناء عليه، وحتى أعداءه بنو أمية لم يكن لهم المجاهرة ببغضه (صلى الله عليه وآله) إلا مشاغبات وإساءات غير مباشرة هنا وهناك، إذا كان هناك مبرر في ذهن الأجنبي البعيد عن الإسلام ليشكك في فضائل النبي محمد (صلى الله عليه وآله) فهو لن يشكك في فضائل علي بن أبي طالب إذا بقيت الدولة الإسلامية بيد أعدائه وأعداء ذريته لمئات

السنين، وكان من مصلحتهم اجتثاث أي ذكر له من التأريخ واستئصال ذريته وشيعته والفتك بهم وتشريدهم وتجاهلهم.

رابعاً: كما لم يكن علي بن أبي طالب في زمان حكومته ذات السنوات الأربع ممن ينفق المال على المتزلفين والشعراء ويرهب من يشتمه، فكان المعرض له يقف أمامه فينتقده ويتهمه ويُعلمه أنه حكّم الرجال في دين الله وأنه لن يصلي خلفه .. فيجيبه علي بأنه سيجري له عطاءه ولن يتخذ ضده شيئاً طالما أن الناس سالمون من شره، ويدعوه إلى المناظرة والمناقشة. ولربما شاغب عليه بعض الخوارج في خطبته فيقرأون القرآن ليمنعوه من الكلام لعلمهم باحترامه للقرآن، فلا يفعل لهم شيئاً بل يسكت ويستأنف بعد سكوتهم. وقد أمن أعداوه في ظلمه وهم في مجتمعه، وبقيت فيهم الجرأة وتورط بعض منهم في الاستمرار عليها مع معاوية وولاته حتى قال معاوية لهم: (لقد لّمضكم ابن أبي طالب على الولاة). وكان علي بن أبي طالب لا يحب أن يمتدح في وجهه رغم ما في ذلك من الإعلام النافع في زمان الحرب وغيره.

خامساً: ولعله الأهم والأدق، هو تحليل نفسية أعدائه الذين اقتحمت عليهم فضائل علي بن أبي طالب قلوبهم فاعترفوا بها،

وكأنهم يهربون من أنفسهم الأمارة بالسوء والتي حملتهم مصالحها على محاربته وعدائه وهو باعترافهم هو الحق وهو الأحق، فيعبرون عن تناقض نفسي وعذاب داخلي يجعل الإنسان يعيش انفصاماً بين مستويين من مستويات نفسه، مستوى لا يخفى فيه الحق وتقوم فيه الحجة، ومستوى يحاول الهروب من ذلك الواقع المركزي في النفس بتخدير الضمير ومراوغة الذات من أجل استمرار المصالح والعداوات. فما هي تلك المشاعر التي اختلجت في نفس معاوية -مثلاً- ولأي شيء يبكي وهو يسمع وصف ضرار بن أبي ضمرة لعلي بن أبي طالب في مجلسه؟

وكيف كان يعرف عمرو بن العاص أن علياً سيدير وجهه عنه إذا كشف عن عورته في المعركة ففعلها وأعرض علي عن قتله كما توقعه عمرو نفسه، فصار عمرو بعد ذلك أشد تعظيماً لعلي من قبل.

كل تلك المشاعر تكشف عن تركيبة النفس التي أسهم علي بن أبي طالب وسيرته في بنائها في البشرية، وتنفعنا في تحليل النفوس ومعرفة مناطق القوة ومكامن الضعف.

إن هذا التناقض النفسي لم يكن معاوية وحده يعيشه، بل كل الذين عادوه وأقصوه عن مكانته في قيادة الأمة، ولعل من

العوامل التي جعلت الجيل المعاصر له من الأمة الإسلامية يميلون عنه إلى غيره في قضية الخلافة ويبايعون سواه بعد النبي (صلى الله عليه وآله)، لعل من العوامل: هو عدم إطاقتهم تألق علي بن أبي طالب وفضائله التي تجعلهم بين أن ينكروا ذواتهم أمام تفوقه، وبين أن يعادوه ليهربوا من استصغار أنفسهم الأمارة بالسوء التي لم يفلحوا في تنقيتها من عواطف الجاهلية، فلا ينسون لعلي قتله لآبائهم في بدر وأحد ولا تطيق نفوسهم التسليم له بالفضل والتفوق التي ملأت أركان المجتمع المسلم يومذاك، فهربوا من الحق الظاهر وصرفوا أنظارهم عن الشمس الساطعة التي جعلها الله بين ظهرانيهم لأجل خيرهم ولأجل الفوائد الاجتماعية والنفسية التي ذكرناها في بداية الكلام ليتدحرجوا في مهاوي البغض والنفاق والهرب من الذات وتحطيم كل شيء في النفس والمجتمع.

ولقد تفطن عمر بن الخطاب لتقصير المجتمع الإسلامي يومذاك تجاه علي بن أبي طالب وبغضهم له، حين عرضت له قضية المرأتين اللتين تنازعتا في مولودين ذكر وأنثى، ولم يستطع عمر الحكم فيها فجاء بالمتنازعين إلى علي بن أبي طالب ففصل لهم الحق فيها، فشعر عمر بتقصير الأمة ككل بحق علي، فقال له: يا علي، إن الحق أرادك ولكن الناس أبوا.

فقال له علي ليبين له هوان الدنيا عليه: هوّن عليك أبا حفص، إن يوم الفصل كان ميقاتاً[1].

فعلي لا يفكر بالدنيا ولا يتأسف عليها وولاية أمر الناس شيء هين لديه لا يستحق الشعور بالتأسف، فالناس هم الذين خسروه، وما الحكم والولاية لديه إلا كشسع النعل وعفطة العنز كما عبّر هو (عليه السلام) عنها لا تراد إلا لبيان الحكم، فإذا أبى الناس فلن يجبرهم على شيء، فبقي علي بن أبي طالب حتى جاءه الناس وعرفوا حقه القديم فبايعوه بعد مقتل عثمان بن عفان خليفة المسلمين.

وقد اقتصرنا في هذه الكتابات على كلمات الذين كانوا في موقف عداء صريح مع أمير المؤمنين (عليه السلام) وكانوا يعيشون حالة الحرب معه، من أجل النكتة النفسية التي تجعل الكلمات تصدر منهم وهم في قمة العداء والمواجهة معه ع.

وقد تركنا استعراض كلمات أئمة المذاهب المخالفة لمذهب أهل البيت والأفكار المختلفة معهم مما اشتهر وعرف عن مثل أحمد بن حنبل والنظّام والجاحظ والفخر الرازي وغيرهم، طلباً للاختصار.

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٢ ص٧٩ و٨٠ . و المناقب لابن شهرآشوب ج٢ ص ٣١ . وقضاء أمير المؤمنين (عليه السلام) للتستري ١٢١ .

ونختم هذه المقدمة بما قاله ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة، قال: (وما أقول في رجل تحبه أهل الذمة على تكذيبهم بالنبوة، وتعظمه الفلاسفة على معاندتهم لأهل الملّة، وتصور ملوك الفرنج والروم صورته في بِيَعها وبيوت عباداتها، وتصور ملوك الترك والديلم صورته على أسيافها.

وما أقول في رجل أقرّ له أعداؤه وخصومه بالفضل، ولم يمكنهم جحد مناقبه ولا كتمان فضائله، فقد علمت أنه استولى بنو أمية على سللان الإسلام في شرق الأرض وغربها، واجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره والتحريف عليه ووضع المعايب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر، وتوعدوا مادحيه بل حبسوهم وقتلوهم، ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة أو يرفع له ذكراً، حتى حظروا أن يسمى أحد باسمه، فما زاده ذلك إلا رفعة وسمواً، وكان كالمسك كلما ستر انتشر عرفه، وكلما كتم يتضوع نشره، وكالشمس لا تستر بالراح، وكضوء النهار إن حجبت عنه عينا واحدة أدركته عيون كثيرة، وما أقول في رجل تُعْزى إليه كل فضيلة، وتنتهي إليه كل فرقة، وتتجاذبه كل طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها وأبو عذرها..).

هيبته (عليه السلام) في نفوس أعدائه

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ما بارزني أحد إلا وأعانني على نفسه؛ ذلك أنه يعلم أني قاتله وأنا أعلم أنني قاتله.

حينما يمسك العربي بالسيف فإنه يرى أن لا شيء يقيده وأن بإمكانه فعل كل شيء فلا يرضخ بسهولة ولا يستسلم لعدوه بسهولة، لأن حد السيف لا توقفه الجلود والرقاب، فالفرص متساوية لمن أمسك السيف في نظره، ولا نتيجة محسومة سلفاً إلا لمن يستسلم.

فما هو الشيء الذي يجعل من يبارز علياً (عليه السلام) يؤمن بأنه مقتول لا محالة على يديه؟ وما الذي يحمله على استمراره بالمبارزة؟

إن الشيء الذي يجعل الخصم ينهزم نفسياً هو حق عليّ وجمال علي وشرف، فعلي لا يقاتل إلا على الحق، وعلي لا يمكن لخصمه أن يحتقره وأن يجمع الخواطر السيئة ليكرهه فيجعلها دوافع للتحمس في قتاله.

وعلي معروف بكرم الأصل وشرف المنبت وشجاعة القلب وجميع جواهر الخصال، فيخضع المقابل له أنه أحق بالنصر منه، وأن الحق في أن ينتصر علي لا أن ينتصر خصمه.

هذا ما في القلب، أما ما هو في النفس والأداء الاجتماعي فيبقى الشيطان يسوّل الكبرياء للرجل فيحمله خوف العار على دخول النار، ويهرب من الانقهار ليصارع الحجة التي في داخله ويحاول أن يثبت نفسه ويتجاهل قلبه ظلماً وعلواً.

هكذا كان ينتصر علي بالحجة والحق قبل انتصاره بالسيف، لذا يعينه خصمه على نفسه، بذلك الشعور القلبي الذي يجعله أقل حماسة، فاقتدوا به ولتصل حجتكم إلى الخصوم قبل سيفكم فتنتصروا عليهم في ميدان القلب قبل ميدان المعركة.

وكان علي (عليه السلام) لا يبدأ المعركة إلا بعد تمهل وتحاور، وقد دفع المعركة عن أهل الشام سنة كاملة، حتى اتُهم بالخوف منهم، فقال: (والله ما دفعتُ الحربُ يوماً إلا وأنا أطمعُ أن تلحقَ طائفةٌ فتهتدي بي، وتعشو إلى ضوئي، وذلك أحبّ إليّ من أن أقتلها على ضلالها وإن كانت تبوءُ بآثامها).

فما قتل علي أحداً إلا وقد أقام عليه الحجة كاملة ولم يبق في قلبه خير ولو بقي إلى الجيل السابع من ذريته.

إن معرفة الإنسان باستحقاق الموت شعور فوق النفس وفوق الأنا، أي معرفة أنه ينبغي أن يموت أو يُهزم، وطالما يُتّخذ كمقطع مؤثر جداً في الشخصيات السينمائية للتأثير في المشاهد حين تُقدم الشخصية في قصة الفلم على الموت تضحية لسواها، كأن يكون المضحي يرى نفسه أنه هو من يجب أن يموت دون غيره، أو أنه

هو من ينبغي أن يُهزم ويبقى خصمه.. ففي هذه الفكرة يتجلى ذلك الشيء الذي هو من الحق القاهر للأنا السابق لها وجوداً وتكويناً سواء أكان الدافع للاستسلام له الحب أو الانسجام مع الحق.

وهذا الشعور في مكمن عال في القلب، تربع عليه علي (عليه السلام) مع خصومه، فأعانوه على أنفسهم في المبارزة، ولو سلّموا أنفسهم لقلوبهم ورضوا بما رتبه الله لهم لأعانوه على أنفسهم في إصلاحها وتنويرها وتطهيرها.

طلحة بن عثمان: كنت أعلم أنه لم يجسر علي غيرك

روى الطبري في تأريخه عن السدّي في ذكر غزوة اُحد قال:

(إنّ طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين قام فقال: يا معشر أصحاب محمّد، إنّكم تزعمون أنّ اللّه يعجّلنا بسيوفكم إلى النار، ويعجّلكم بسيوفنا إلى الجنّة؛ فهل منكم أحد يعجّله اللّه بسيفي إلى الجنّة، أو يعجّلني بسيفه إلى النار؟

فقام إليه عليّ بن أبي طالب (رضي اللّه عنه) فقال: والذي نفسي بيده لا أُفارقك حتى أُعجّلك بسيفي إلى النار، أو تعجّلني بسيفك إلى الجنّة، فضربه عليّ فقطع رجله فسقط فانكشفت عورته، فقال: أنشدك اللّه والرحم يا ابن عمّ.

فتركه، فكبّر رسول‌اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وقال لعليّ: ما منعك أن تجهز عليه؟

قال: إنّ ابن عمّي ناشدني حين انكشفت عورته، فاستحييت منه)[1].

وكان طلحة بن عثمان (أبي طلحة) يسمى كبش الكتيبة أو قائد الجيش المقدّم فيه وكان هو حامل الراية، وقيل بأنه كان يُعدّ بألف فارس.

وروى القصة ابن الأثير في كامل التواريخ وفيها أبيات الشعر التي أجاب بها أمير المؤمنين (عليه السلام) طلحة بن عثمان[2].

---

(١) تاريخ الطبري: ج٢، ص٥٠٩ وراجع المغازي: ج١، ص٢٢٦ ، والسيرة الحلبيّة: ج٢، ص٢٢٣.

(٢) قال ابن الأثير:

كانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العبدري من بني عبد الدار، فبرز ونادى: يا محمد تزعمون أنكم تجهزونا بأسيافكم إلى النار ونجهزكم بأسيافنا إلى الجنة، فمن شاء أن يلحق بجنته فليبرز إليّ، فبرز إليه أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول:

يا طلحُ إن كنتم كما تقولُ لكم خيول ولنا نصولُ
فاثبت لننظرْ أيّنا المقتول وأيّنا أولى بما تقولُ
فقد أتاك الأسد الصؤول بصارم ليس به فلولُ
ينصره القاهر والرسول

وقال ابن الأثير فيها:

فقال طلحة:

من أنت يا غلام؟

قال : أنا علي بن أبي طالب

قال طلحة: قد علمت يا قضم، أنه لا يجسر عليّ أحد غيرك، فشد عليه طلحة فضربه فاتقاه بالحجفة، ثم ضربه علي على فخذيه فقطعهما جميعاً فسقط على ظهره، وسقطت الراية...

وسمّاه (قضم) لأن قريش كانت تغري الصبيان لضرب رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالحجارة، فكان علي يخرج معه وهو صبي صغير فيهجم على الصبيان ويقضم آنافهم وآذانهم، فيرجعون إلى أمهاتهم يبكون ويقولون: قضمنا علي قضمنا علي، فكانت النساء تلقبه بقضم أو قضيم.

وفي هذه الرواية عبرة مما ننشده في هذه البحوث إذ أن طلحة وكان فارساً مقدماً في قريش حين برز بهذا الغرور ودعا إلى البراز، لم يكن متخوفاً من أحد إلا من علي (عليه السلام)، ومن تحليل كلامه يتضح أنه كان يخاف من علي ولذا غضب ونبزه بهذا اللقب ليجرئ نفسه على القتال وهو يعلم أنه سيقتل، ولكن الإحراج الذي هو فيه يمنعه من الرجوع حفاظاً على حياته

خوفاً من العار لا سيما وقد استفزهم أبو سفيان لقتال النبي (صلى الله عليه وآله) بما ذكره ابن الأثير وغيره.

وحين وقع على الأرض، ناشد علياً أن يتركه واستحلفه بالرحم بينهما (لأن بني عبد الدار أبناء عمومة لبني هاشم، وهما من بطون قريش) وعلم أن علياً سيراعي الرحم الذي قطعه طلحة بنفسه.

وروى ابن الأثير أن أبا سعيد بن أبي طلحة أخا طلحة أخذ الراية، فقتله علي وسقطت رايته إلى الأرض فأخذها عثمان بن أبي طلحة فقتله علي، ثم مسافع بن أبي طلحة فقتله علي، ثم الحارث بن أبي طلحة فقتله علي، ثم عزيز بن أبي طلحة فقتله علي، ثم عبد الله بن جميلة بن زهير فقتله علي، وقتل أمير المؤمنين التاسع من بني عبد الدار وهو أرطاة بن شرحبيل مبارزة، وسقطت الرآية إلى الأرض فأخذها مولاهم صوأب فقتله علي فسقطت الراية إلى الأرض فأخذتها عمرة بنت علقمة الحارثية فنصبتها.

فتركها علي؛ لأنه لا يقتل امرأة، بعد أن خاف بنو عبد الدار من يحمل الراية أحد منهم فيقتله علي بن أبي (عليه السلام) أيضاً.

ورواها الشيخ المفيد في الإرشاد عن ابن إسحاق.

الأخت تعزي نفسها بأن قاتل أخيها هو علي بن أبي طالب

عمرو بن عبد ود بن أبى قيس أخو بني عامر بن لؤي، فارس يَلْيَل، كان يُعد نظيراً لعنترة بن شداد العبسي، وقصته في معركة الخندق معروفة وهي -كما رواها الطبري (ج٢، ص ٢٣٩-٢٤٠) وغيره- أن أحزاب المشركين لما حشدوا وجاؤوا للقضاء على الإسلام في المدينة المنورة حفر النبي (صلى الله عليه وآله) والمسلمون معه خندقاً حول المدينة وصاروا خلفه، فلم يستطع المشركون اقتحامه، إلا أن عمرو بن عبد ود ومعه أربعة فرسان[1] اقتحموا الخندق من مكان ضيق فيه، وجالوا أمام المسلمين فخرج علي بن أبي طالب ومعه مجموعة من المسلمين فسدوا تلك الثغرة التي اقتحم منها المشركون؛ لئلا يقتحم غيرهم.

ثم أقبل عمرو بن عبد ورد يرتجز ويدعو للبراز، والمسلمون لا يجرؤ أحد منهم على مبارزته، وهم في ذلك الموقف الذي

---

(١) عكرمة بن أبى جهل وهبيرة بن أبى وهب المخزوميان ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب بن مرداس أخو بني محارب بن فهر.

وصفهم الله به في سورة الأحزاب إذ زلزلوا وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا[1].

---

(١) وهو قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً (١١) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً (١٢) وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً (١٣) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيراً (١٤) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُولاً (١٥) قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذاً لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً (١٦) قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً (١٧) قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً (١٩) يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا

فاستأذن علي بن أبي طالب من النبي في مبارزته فأذن له ودعا له وأعطاه سيفه كما هو مروي.

فقال له علي: إنك يا عمرو كنت تعاهد الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى خلتين إلا أخذت منه إحداهما؟

قال: أجل.

قال له علي بن أبى طالب: فإني أدعوك إلى الله عز وجل وإلى رسوله والى الإسلام.

قال: لا حاجة لي بذلك.

قال: فإني أدعوك إلى النزال.

قال: إني لا أحب أن أقتلك فإن أباك كان نديمي.

أو قال: ولمَ يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك.

قال علي: ولكني والله أحب أن أقتلك.

فغضب عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره أو ضرب وجهه وقيل قطع ساقيه، وأقبل على علي فضربه على رأسه

فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلا قَلِيلاً (٢٠) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (٢١) وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً (٢٢) ﴾ (سورة الأحزاب).

ضربة قوية فتلقاها علي بدرعه فكسرت الدرع ونزلت على خوذته فقدّتها ووصل السيف إلى رأس علي ولم يقتله.

واعترضه علي بضربة على رجله فقطعها، فسقطت عمرو إلى الأرض ثم قتله علي، وقتل اثنين ممن معه، وهرب اثنان وعلق أحدهما في الخندق فنزل إليه علي فقتله.

ولم يسلبه درعه وثيابه، فقيل له: لماذا لم تأخذ ثياب عمرو ودرعه فإنها درع داوودية؟

فقال علي: إنما قتلناه لدينه لا لثيابه.

روى الأودي قال : سمعت ابن عياش يقول: لقد ضَرب عليّ ضربة ما كان في الإسلام ضربة أعزّ منها، .. وفي قتل عمرو بن عبد ود يقول حسّان بن ثابت:

أمسى الفتى عمرو بن عبد يبتغي
بجنوب يثرب غارة لم تنظرِ
ولقد وجدت سيوفنا مشهورة
ولقد وجدت جيادنا لم تقصر
ولقد رأيت غداة بدر عصبة
ضربوك ضرباً غير ضرب المخسر
أصبحت لا تدعى ليوم عظيمة
يا عمرو أو لجسيم أمر منكر

فسمعه أحَد بني عامر فأجابه وهو يرد عليه افتخاره بالأنصار قائلاً:

كذبتم وبيت اللّه لم تقتلوننا
ولكن بسيف الهاشميين فافخروا
بسيف ابن عبد اللّه أحمد في الوغا
بكف عليّ نلتمُ ذاك فاقصروا
فلم تقتلوا عمرو بن عبد ببأسكم
ولكنه الكفو الهزبر الغضنفر
عليّ الذي في الفخر طال بناؤه
ولا تكثروا الدعوى علينا فتحقروا

وروي انه لما قتلَ عليٌّ (عليه السلام) عمرو بن عبد ودّ نعي إلى أُخته عمرة بنت عبدود، فلما جاءت إليه ورأته على حلّته لم يسلبه قاتله، قالت: من ذا الذي اجترأ عليه؟

قالوا لها : علي بن أبي طالب.

قالت : لم يعد موته إلا على يد كفو كريم، لا رقأت دمعتي إن هرقتها عليه، قتل الأبطال، وبارز الأقران، وكانت منيته على يد كفو كريم من قومه، ما سمعت بأفخر من هذا يا بني عامر، ثم أنشأت تقول:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله

لكنتُ أبكي عليه آخر الأبــد
لكن قاتل عمرو لا يعاب به
من كان يدعى قديماً بيضة البلد

ثم قالت : واللّه لا ثأرت قريش بأخي ما حَنّت النيب – والنيب جمع ناب وهي المسنّة من النوق- كناية عن أنها لا تستطيع ذلك أبداً.

مروان بن الحكم: علي أبرأ الناس من دم عثمان ولكن الأمر لا يستقيم لنا إلا بسببه

مروان بن الحكم: أبوه الحكم بن العاص طريد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان الحكم بن العاص يسخر من مشية رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكان النبي ذات يوم في حجرته فاطلع عليه رجل، فنظر النبي (صلى الله عليه وآله) فإذا هو الحكم بن العاص فنفاه إلى الطائف[1] ولم يؤذن له بالعودة إلى المدينة إلا في عهد عثمان بن عفان.

(١) المعجم الكبير للطبراني: ج ١٠ ، ص ٢٩٤.

وكان مروان بن الحكم من أهم الأسباب التي دعت الناس للغضب والثورة على عثمان بن عفان إذ أعطاه خمس أفريقية[1] وقرّبه ضمن من كان يقربهم من بني أمية وكان قد ضرب عمار بن ياسر حتى أصيب بفتق بقي معه إلى يوم استشهاده في صفين ونفى أبا ذر الغفاري إلى الربذة فمات فيها وأمور أخرى ذكرتها كتب التواريخ، وكان لمروان يد طولى في التصرف في أمور الحكم رغم أنه شاب حديث العهد.

وتسبب في أمور زادت من غضب المحاصرين لدار عثمان في الأيام الأخيرة إذ خطب في الناس ووبخهم على منازعة بني أية ملكهم، وأمر مولىً له برمي شخص من المحاصرين للدار فرماه بسهم فقتله، ثم هاجمهم بجماعة ممن معه فأصيب وهرب جماعته.

وكان لعلي بن أبي طالب دور في ردع الناس عن محاصرة عثمان، ومنعوه الماء فقام علي (عليه السلام) بإرسال الماء إليه، ونهاهم عنه، وروي أنه جعل الحسن والحسين (عليهما السلام)

---

(١) راجع للتوسع المصادر التالية: أنساب الأشراف: ج ٢ ، ص ٢٦٥. الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٣، ص ٦٤. سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٤٧٩. المعرفة والتاريخ : ج ١، ص ١٣٧. الأوائل للعسكري: ج ١، ص ٥٤. سمط النجوم العوالي: ج٢، ص ٤٩.

في بابه يدفعان الناس عن دار عثمان، وأن المحاصرين لداره تسوروا عليه من الدار المجاورة فقتلوه.

وحين خرجت السيدة عائشة وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام في البصرة على أمير المؤمنين (عليه السلام) خرج مروان معهم يؤلب الناس على أمير المؤمنين بدم عثمان، وهو يعلم أنه أبرأ الناس من دمه وقد بايعه مع المبايعين بعد مقتل عثمان، ثم خرج مع الخارجين ووقف في جيش أهل البصرة.

وأثناء معركة الجمل رمى مروان طلحة بسهم فأصاب طلحة في فخذه ومات من النزف وكان يقول أنه أدرك ثأر عثمان بقتله لطلحة[1]. وكان في معركة الجمل يرمي بسهامه على الجيشين، فقيل له، فقال: أينما أصبت فقد أدركت ثأري.

وكان ممن منع جنازة الحسن بن علي (عليه السلام) أن يدفن في جوار قبر رسول الله[2] (صلى الله عليه وآله) وحرض السيدة عائشة على منعه.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٣، ص ٢٢٣. المستدرك على الصحيحين للحاكم: ج ١٣، ص ٤١. الإصابة في معرفة الصحابة: ج ٢، ص ٧٠. وأخرجه أبو القاسم البغوي بسند صحيح عن الجارود بن أبي سبرة. تاريخ دمشق: ج ٢٥، ص ١١٢. الإصابة في معرفة الصحابة: ج ٢، ص ٧٠.

(٢) الفتن لنعيم بن حماد: ج ١، ص ٩١.

وبعد هزيمة جيش البصرة وانتصار أمير المؤمنين (عليه السلام) جيء بمروان بن الحكم أسيراً فاستشفع له الحسن والحسين (عليهما السلام) ليعفو عنه فعفا عنه، فقيل لعلي (عليه السلام): يبايعك يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا حاجة لي ببيعته، إنها كف يهودية لو بايع بيد لغدر بالأخرى، وله إمرة (أي فترة ولاية) كلعقة الكلب أنفه (أي قصيرة) وهو أبو الأكبُش الأربعة (جمع كبش وهم أولاده الذين ملكوا الأمة بعده) وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمر[1].

وكان مروان مؤذياً للحسن (عليه السلام)، وكان يشير على معاوية أن يأخذ الحسين (عليه السلام) معه إلى الشام ليقطعه عن شيعته[2].

وبعد موت معاوية كان مروان بن الحكم يحرّض والي المدينة على قتل الحسين (عليه السلام) كما هو مروي في حوادث سنة ستين للهجرة.

فهذا هو مروان بن الحكم أبعد الناس عن الإنصاف وأكثرهم مكراً وطيشاً وتكبراً، وأشدهم كرهاً لآل الرسول صلوات الله عليهم أجمعين، ومن المستبعد أن تصدر منه كلمة ثناء بحق علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ولكن مع ذلك نجده

---

(١) نهج البلاغة، خطبة ٧٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٨١.

يقول لعليّ بن الحسين (عليهما السلام): ما كان في القوم أدفع عن صاحبنا من صاحبكم (يعني عليّاً عن عثمان).

فقال له علي بن الحسين (عليه السلام): ما بالكم تسبّونه على المنابر؟

قال مروان: لا يستقيم الأمر إلاّ بذلك[1].

وروي في وقعة صفّين عن مروان قوله: (أما واللّه لولا ما كان منّي يوم الدار مع عثمان ومشهدي بالبصرة لكان منّي في عليٍّ رأي كان يكفي امرأً ذا حسب ودين، ولكنّ ولعل)[2].

وفي المناقب لابن شهرآشوب: (قال معاوية يوم صفّين: أُريد منكم واللّه أن تشجروه -أي علياً عليه السلام- بالرماح فتريحوا العباد والبلاد منه.

---

(١) خلاصة نقض كتاب العثمانية: ص١٤ ط الرحمانية جمع السندوبي، سير أعلام النبلاء: ج٢،ص ٦١٣ ط دار الفكر، وأنساب الأشراف: ١ق، ج ١، ص.٣٣٥، وشرح النهج في شرح المختار: ٢٣١ و ١٠٠/١٣ ط محققة و ٢٥٥/٣، وتاريخ ابن عساكر ترجمة الإمام: ج ٣، ص٩٩، وتاريخ الإسلام للذهبي: ج ٢، ص١٣٩ ط القدسي.

(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ص ٤٦٣؛ شرح نهج‌البلاغة: ٩٨/٨ وفيه (إلى عليّ في أيّام عثمان)، بدل (يوم الدار مع عثمان

قال مروان: واللّه لقد ثقلنا عليك يا معاوية، إذ كنت تأمرنا بقتل حيّة الوادي والأسد العادي، ونهض مغضباً..)[1].

بنو أمية يفضلون أن يكون علي بإزائهم دون غيره

كان علي (عليه السلام) لا يظلم الأعداء ولا يضطهد المخالفين، حتى عرف ذلك منه أعداؤه واعترفوا به.

روى أرباب السير والتواريخ أنّ مروان بن محمّد آخر حكام بني أمية قال يوم الزاب وهي المعركة الأخيرة بينه وبين الخراسانيين بقيادة بني العباس والتي أطاحت بدولة بني أمية وجاءت بدولة بني العباس، لّما شاهد عبد اللّه بن علي بن عبد اللّه بن عباس بإزائه في صف خراسان قال:

(لوددت أنّ عليّ بن أبي طالب تحت هذه الراية بدلاً من هذا الفتى العباسي)[2].

إذ كان مروان يعلم أن عبد الله بن علي العباسي رجل سياسة لا يرحم الأعداء لو ظفر بهم، وعلي بن أبي طالب لا يظلم أعداءه، وهم يعلمون كيف ترك أعداءه في الجمل ولم

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب: ٨٥/٢، بحارالأنوار: ٢/٦٨/٤١ وراجع المناقب للخوارزمي: ٢٣٥.

(٢) تفصيل حوادثها في الكامل لابن الاثير ٤ : ٣٢٧ – ٣٣٤.

يتتبعهم وكيف سقى جيش الشام الماء حين استعاد المشرعة منهم، وغيرها من الحوادث.

وجعل بعض المؤرخين هذه الكلمة لمروان بن محمد مصادقاً لما أخبر عنه أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته التي قال فيها:

(ألا وإن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية فإنها فتنة عمياء مظلمة .. وأيم الله لتجدن بني أمية لكم أرباب سوء بعدي كالناب الضروس .. لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا نافعاً لهم أو غير ضائر بهم ولا يزال بلاؤهم عنكم .. ثم يفرجها الله عنكم كتفريج الأديم بمن يسومهم خسفاً ويسوقهم عنفاً ويسقيهم بكأس مصبّرة لا يعطيهم إلا السيف ولا يحلسهم إلا الخوف، فعند ذلك تود قريش بالدنيا وما فيها لو يرونني مقاماً واحداً ولو قدر جزر جزور لأقبل منهم ما أطلب اليوم بعضه فلا يعطونيه)[1].

قال ابن أبي الحديد في شرح هذه الخطبة: و القصة مشهورة نقلها أهل السير كلهم . . و هذا الكلام من الإمام إخبار عن ظهور المسودّة أي بني العباس و انقراض ملك بني أمية، و قد وقع الأمر بموجب إخباره صلوات اللّه عليه.

---

(١) الخطبة نقلها الشريف الرضي في نهج البلاغة، وقبله نقلها ابن أبي شيبة في مصنفه: ج٨، ص ٦٩٨ وغيره.

يسبون علياً (عليه السلام) وهم يعلمون أنه خير الناس

دأب بنو أمية على سبّ أمير المؤمنين (عليه السلام) قرابة سبعين سنة، وفرضوا سبّه على المنابر في كافة البلدان والأمصار، حتى نسبوا إليه أنه لا يصلي وأنه يغازل النساء.

ولم يكن بنو أمية جاهلين بحقه، ولكنها المصلحة والسياسة والملك الذي يجعل الإنسان يخالف ما يعرفه فيعيش حالة التناقض والعذاب الأكبر في نفسه ويظهر ذلك على خلجات لسانه ولون وجهه وبعض الكلمات التي تصدر في حالة من أعجب حالات الاعتراف التي يريد بها الفرد أحياناً الهرب من تناقضه والتخفيف من عذابه.

في شرح نهج البلاغة عن ابن أبي سيف قال: (خطب مروان والحسن (عليه السلام) جالس، فنال من عليّ.

فقال الحسن (عليه السلام): ويلك يا مروان، أهذا الذي تشتم شرّ الناس؟

قال مروان: لا، ولكنه خير الناس)[1].

وفي الكامل في التاريخ عن عمر بن عبد العزيز قال: (كان أبي إذا خطب فنال من عليّ (رضي اللّه عنه) تلجلج.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديث: ج١٣، ص ٢٢٠.

فقلت: يا أبه، إنّك تمضي في خطبتك، فإذا أتيت على ذكر عليّ عرفت منك تقصيراً!

قال: أوَفطنت لذلك؟

قلت: نعم.

فقال: يا بُنيّ، إنّ الذين حولنا لو يعلمون من عليّ ما نعلم تفرّقوا عنّا إلى أولاده)[1].

وروى هذه القصة ابن أبي الحديد في شرح النهج عمر بن عبد العزيز قال: (كان أبي يخطب فلا يزال مستمرّاً في خطبته، حتى إذا صار إلى ذكر عليّ وسبّه تقطّع لسانه، واصفرّ وجهه، وتغيّرت حاله، فقلت له في ذلك، فقال: أوَقد فطنت لذلك؟ إنّ هؤلاء لو يعلمون من عليّ ما يعلمه أبوك ما تبعَنا منهم رجل)[2].

واعترف الوليد بن عبد الملك بن مروان بذلك في أيام حكومته فقال لبنيه يوماً: (ما زلت أسمع أصحابنا وأهلنا يسبّون عليّ بن أبي طالب ويدفنون فضائله، ويحملون الناس على شنآنه، فلا يزيده ذلك من القلوب إلّا قرباً، ويجتهدون في تقريبهم من نفوس الخلق فلا يزيدهم ذلك إلّا بُعداً)[3].

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٣، ص٢٥٦.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ١٣، ص ٢٢.

(٣) الإرشاد للشيخ المفيد: ج١، ص٣١٠.

فرسان بني أمية: إن أمرنا وأمر علي بن أبي طالب عجب!

الخوف والحقد والسياسة لم تستطع جعلهم يكتمون إكبارهم لعظمة علي (عليه السلام) في الحرب، ورغم أن رجولة الفارس في الحروب تكمن في شجاعته وفعله وعدم خوفه من أحد، إلا أنك تجد أعداء علي لا يترددون في إعلانهم العجز أمامه والخوف منه، وكأن ميدان الشجاعة يطبقونه في مستثنى من علي بن أبي طالب، وكأن الخوف من علي ليس عاراً والهرب منه ليس جبناً والموت على يديه ليس عيباً.

هذا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وهو أحد أركان جيش معاوية يوم صفين، عند تذكر صفين في محضر معاوية،

يقول عبد الرحمن واصفاً هول علي في الحرب كما روي عن الشعبي: (أما والله لقد رأيتنا يوماً من الأيام وقد غشينا ثعبان مثل الطود الأرعن (الجبل الشامخ) قد أثار قسطلاً (أي غباراً) حال بيننا وبين الآفاق، وهو على أدهم شائل، يضربهم بسيفه ضرب غرائب الإبل، كاشراً عن أنيابه كشر المُخْدِرِ (أي الأسد الكامن بين الحشائش لينقض على فريسته) الحرب.

فقال معاوية: واللّه إنّه كان يجالد ويقاتل عن تِرة (أي قصد أو ثأر) له وعليه، أراه يعني عليّاً)[1].

---

(١) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ص ٣٨٧.

وروى نصر بن مزاحم قال: (حدثني محمد بن إسحاق قال اجتمع عند معاوية في بعض ليالي صفين عمرو بن العاص وعتبة بن أبي سفيان والوليد بن عقبة ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر وابن طلحة الطلحات الخزاعي.

فقال عتبة إن أمرنا وأمر علي بن أبي طالب لعجب! ما فينا إلا موتور مجتاح. أمّا أنا فقتل جدي عتبة بن ربيعة وأخي حنظلة وشَرَك في دم عمي شيبة يوم بدر، وأما أنت يا وليد فقتل أباك صبراً، وأما أنت يا ابن عامر فصرع أباك وسلب عمك، وأما أنت يا ابن طلحة فقتل أباك يوم الجمل وأيتمَ إخوتك وأما أنت يا مروان فكما قال الشاعر:

وأفلتهن علباء جريضاً ولو أدركنه صفر الوطابِ

فقال معاوية: هذا الإقرار فأين الغير؟ (أي اعتبروا وافعلوا وخذوا ثأركم من علي بن أبي طالب).

قال مروان: وَأيّ غِيَر تريد؟

قال معاوية: أريد أن تشجروه بالرماح.

قال مروان: والله يا معاوية، ما أراك إلا هاذياً أو هازئاً، و ما أرانا إلا ثقلنا عليك.

فقال ابن عقبة:

يقول لنا معاوية بن حربٍ:

أما فيكم لواتركم طلوبُ؟ (أي هل فيكم من يطلب الثأر من الذي وتركم وقتل منكم).

يشدّ على أبي حسنٍ عليٍّ

بأسمر لم تهجّنه الكعوبُ (أي يشد على عليّ بالرمح).

فيهتك مجمع اللبّات منه (أي يقطع رقبته)

ونقع الحرب مطّرد يؤوبُ (النقع هو الغبار).

فقلتُ له: أتلعبُ يا ابن هندٍ

كأنك بيننا رجلٌ غـــريبُ

أتغرينا بحيّة بطن وادٍ (أي تحرضنا للقاء حية بطن الوادي شديدة السم)

إذا نهشت فليس لها طبيبُ

وما ضبعٌ يدبُّ ببطن وادٍ

أتيح له به أسدٌ مهيـــبُ (أي ليس ذلك الضبع خير منا إذا لقينا علياً)

بأضعف حيلة منا إذا ما

لقيناه ولقياه عجـــيبُ

سوى عمرٍو (وقاه ما وقاهُ) (يعني عمرو بن العاص وما فعله للهرب من علي عليه السلام يوم صفين)

وكان لقلبه منه وجيبُ

كأن القوم لما عاينوهُ

خلال النقع ليس لهم قلوبُ
لعمرُ أبي معاوية بن حرب
وما ظني ستلحقه العيــوبُ
لقد ناداه في الهيجا عليٌ
فأسمعه ولكن لا يجيــبُ

فغضب عمرو بن العاص وقال: إن كان الوليد صادقاً فليلقَ علياً أو فليقف حيث يسمع صوته.

وقال عمرو:

يذكرني الوليد دُعـــا عليّ
ونطق المرء يملؤه الوعـــيدُ
متى تذكرْ مشاهده قريــشٌ
يطرْ من خوفه القلب الشديد
فأما في اللقاء فأيـــن منه
معاوية بن حرب والولـــيد
وعيرني الوليد لقاء ليث
إذا ما شد هابته الأســـود
لقيت –ولست أجهله- علياً
وقد بُلّت من العلق اللبــود (أي تبللت الوجوه واللحى من الدماء وقيل إنها الثياب التي على الصدر)
فأطعنه و يطعنني خلاساً

وماذا بعــد طعنــته أريــد
فرُمْها منه يا ابن أبي معيط
وأنت الفارس البطل النجيد
و أقسمُ لو سمعتَ نِدا علي
لطار القلب وانتفخ الوريـدُ
ولو لاقيتَه شُقّت جيوبٌ
عليك ولُطّمتْ فيك الخدودُ

وذكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب في باب بسر بن أرطاة، قال كان بسر من الأبطال الطغاة وكان مع معاوية بصفين فأمره أن يلقى علياً (عليه السلام) في القتال، وقال له: إني سمعتك تتمنى لقاءه فلو أظفرك الله به وصرعته حصلت على الدنيا والآخرة. ولم يزل يشجعه ويمنّيه حتى رأى علياً في الحرب فقصده والتقيا فصرعه علي (عليه السلام) وعرض له معه مثل ما عرض له مع عمرو بن العاص في كشف السوأة.

قال أبو عمر: وذكر ابن الكلبي في كتابه في أخبار صفين أن بسر بن أرطاة بارز علياً يوم صفين فطعنه علي (عليه السلام) فصرعه فانكشف له فكف عنه كما عرض له مثل ذلك مع عمرو بن العاص. قال: وللشعراء فيهما أشعار مذكورة في موضعها من ذلك الكتاب منها فيما ذكر ابن الكلبي و المدائني قول الحارث بن نضر الخثعمي وكان عدواً لعمرو بن العاص وبسر بن أرطاة:

أفي كل يوم فارس لك ينتهي
وعورته وسط العجاجة باديهْ؟
يكف لها عنه عليٌّ سنـــانه
ويضحك منها في الخلاء معاويهْ
بدت أمس من عمرٍو فقنع رأسه
وعورة بِسر مثلها حذو حاذيهْ
فقولا لعمرو ثم بسر ألا انظرا
لنفسكما لا تلقيا الليث ثانيهْ
ولا تحمدا إلا الحيا وخصاكما
هما كانتا –والله– للنفس واقية
ولولاهما لم تنجوا من سنانه
وتلك –بما فيها– إلى العود ناهيهْ
متى تلقيا الخيل المغيرة صبحةً
وفيها علي فاتركا الخيل ناحيهْ
وكونا بعيداً حيث لا يبلغ القنا
نحوركما إن التجارب كافيهْ

عمرو بن العاص يعلم نُبل عليّ ولكن يحاربه لأجل الدنيا

عمرو بن العاص رجل متهتك لم يدخل الإسلام إلا بعد الفتح، وفضّل أن لا يوضع اسمه في عطاء عامة المسلمين بل مع

المؤلفة قلوبهم لأن عطاءهم أكثر، وهم الذين استجلب رسول الله (صلى الله عليه وآله) قلوبهم للإسلام بالمال لكي يستكفى شر كيدهم.

ثم إن عمرواً شارك في التحريض على قتل عثمان بن عفان، ولم يعمل مع معاوية حتى اشترط عليه أن يعطيه الحكم على مصر عوضاً عن دينه الذي باعه، وصار بعد ذلك يمكر ويكذب وما ترك خزياً إلا ركبه.

ومثل هذا الرجل بعيد كل البعد عن الإنصاف، لأن الإنصاف يستقى من الضمير والوقوف أمام الضمير يجعله أمام واقعه الحقير، فيهرب من كل انعكاس للضمير.

ولكن هذا الشخص المدحوض اقتحم عليه نُبل علي بن أبي طالب وبهاؤه وأجبره على الاعتراف، بل كان يعلم بحق علي ونوره حين رمى بنفسه على الأرض وكشف عن عورته وهو يعلم أن علياً (عليه السلام) سيكف عنه، وقد كان عليّ عند ظنه، فانصرف عنه في صفين وهو ذراع معاوية الأيمن..

وصار عمرو بعد ذلك أكثر تعظيماً لعلي من ذي قبل، ولربما أنشأ أبياتاً من الشعر في الثناء عليه، في أغرب حالات التناقض التي تجعل نفس الإنسان تعتمل بين قطبين متناقضين تماماً في دوامة من الشقاء والنفاق الذي لا شبيه له.

ففي كتاب الإمامة والسياسة: (ذكروا أنّ رجلاً من همذان يقال له: برد، قدم على معاوية فسمع عمرواً يقع في عليّ، فقال له: يا عمرو، إنّ أشياخنا سمعوا رسولاللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) يقول: من كنت مولاه فعليّ مولاه، فحقٌّ ذلك أم باطل؟

فقال عمرو: حقّ، وأنا أزيدك أنّه ليس أحد من صحابة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) له مناقب مثل مناقب عليّ)[1].

وفي تأريخ الطبري قال عمرو لمعاوية ذات يوم: (أما واللّه إنْ قاتلنا معك نطلب بدم الخليفة؛ إنّ في النفس من ذلك ما فيها، حيث نقاتل من تعلم سابقته، وفضله وقرابته، ولكنّا إنّما أردنا هذه الدنيا)[2].

وفي المناقب للخوارزمي عن عمرو بن العاص – فيما كتبه إلى معاوية قبل التحاقه به - قال: (ويحك يا معاوية! أما علمت أنّ أبا حسن بذل نفسه بين يدي رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ... وقد قال فيه يوم غدير خمّ: ألا من كنت مولاه فعليّ

---

(١) الإمامة والسياسة: ج١، ص ١٢٩.

(٢) تاريخ الطبري: ج٤، ص ٥٦١، وفي الكامل في التاريخ: ج٢، ص ٣٥٨ وفيه (تقاتل) بدل (نقاتل).

مولاه، اللهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله)[1].

وفي تاريخ اليعقوبي – في ذكر قدوم عمرو بن العاص على معاوية وبيعته له- قال: (قدم على معاوية، فذاكره أمره، فقال له: أمّا عليّ، فوَاللّه لا تساوي العرب بينك وبينه في شيء من الأشياء، وإنّ له في الحرب لحظّاً ما هو لأحد من قريش إلّا أن تظلمه.

قال معاوية: صدقت، ولكنّا نقاتله على ما في أيدينا، ونلزمه قتل عثمان.

قال عمرو: واسوأتاه! إنّ أحقّ الناس أن لا يذكر عثمان لا أنا ولا أنت.

قال: ولم ويحك؟

قال: أمّا أنت فخذلته ومعك أهل الشام حتى استغاث ببزيد بن أسد البجلي، فسار إليه، وأمّا أنا فتركته عياناً، وهربت إلى فلسطين.

فقال معاوية: دعني من هذا، مدّ يدك فبايعني.

قال عمرو: لا، لعمر اللّه لا أُعطيك ديني حتى آخذ من دنياك.

قال له معاوية: لك مصر طُعْمة)[1].

---

(١) المناقب للخوارزمي: ج١٩٩، ص٢٤٠.

وروى نصر بن مزاحم في وقعة صفّين عن عمر بن سعد بإسناده: (قال معاوية لعمرو: يا أبا عبد اللّه، إنّي أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذي عصى ربّه وقتل الخليفة، وأظهر الفتنة، وفرّق الجماعة، وقطع الرحم.

قال عمرو: إلى مَن؟

قال: إلى جهاد عليّ.

فقال عمرو: واللّه يا معاوية، ما أنت وعليّ بِعكْمَي[٢] بعير، ما لك هِجرتُه ولا سابقته، ولا صُحبته، ولا جهاده، ولا فقهه وعلمه. واللّه إنّ له مع ذلك حدّاً وجدّاً، وحظّاً وحظوة، وبلاءً من اللّه حسناً، فما تجعل لي إن شايعتك على حربه، وأنت تعلم ما فيه من الغرر والخطر؟ قال: حكمك. قال: مصر طُعْمة)[٣].

وروى نصر في وقعة صفّين عن أبي جعفر وزيد بن حسن قال: (طلب معاوية إلى عمرو بن العاص أن يسوّي صفوف أهل

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٨٦، وقعة صفّين: ص٣٧، أنساب الأشراف: ج٣، ص٧٣، الإمامة والسياسة: ج١، ص١١٨ نحوه.

(٢) بمعنى لست كفؤاً له يا معاوية والعِكْمان: عِدلان يُشدّان على جانبي الهودج بثوب. لسان العرب: مادة (عكم).

(٣) وقعة صفّين:ص ٣٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٢، ص ٦٤.

الشام، فقال له عمرو: على أنّ لي حكمي إن قتل اللّه ابن أبي طالب، واستوسقت لك البلاد؟

قال: أليس حكمك في مصر؟

قال: وهل مصر تكون عوضاً عن الجنّة، وقتل ابن أبي طالب ثمناً لعذاب النار الذي لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ؟

فقال معاوية: إنّ لك حكمك أبا عبد اللّه إن قُتل ابن أبي طالب، رويداً لا يسمع الناس كلامك)[1].

وعن نصر أيضاً في وقعة صفّين عن الزهري – في وقائع اليوم الخامس من حرب صفّين- قال: (خرج في ذلك اليوم شمر بن أبرهة بن الصباح الحميري، فلحق بعليّ (عليه السلام) في ناس من قرّاء أهل الشام، ففتّ ذلك في عضد معاوية وعمرو بن العاص، وقال عمرو: يا معاوية، إنّك تريد أن تقاتل بأهل الشام رجلاً له من محمّد (صلى اللّه عليه وآله وسلم) قرابة قريبة، ورحم ماسّة، وقدم في الإسلام لا يعتدّ أحد بمثله، ونجدة في الحرب لم تكن لأحد من أصحاب محمّد (صلى اللّه عليه وآله وسلم)، وإنّه قد سار إليك بأصحاب محمّد (صلى اللّه عليه وآله

(١) وقعة صفّين:ص ٢٣٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٥، ص ١٨٩.

وسلم) المعدودين، وفرسانهم وقرّائهم وأشرافهم وقدمائهم في الإسلام، ولهم في النفوس مهابة)[1].

وعن نصر كذلك عن الجرجاني – في ذكر حرب صفّين وتسلّط معاوية على الماء-: (فبقي أصحاب عليّ يوماً وليلة – يومَ الفرات - بلا ماء، وقال رجل من السَّكون من أهل الشام...:

فامنع القومَ ماءكم ليس للقو

مِ بقاءٌ وإن يكن فقليلُ

فقال معاوية: الرأي ما تقول، ولكن عمرو لا يدعني.

قال عمرو: خلّ بينهم وبين الماء؛ فإنّ عليّاً لم يكن ليظمأ وأنت ريّان، وفي يده أعنّة الخيل وهو ينظر إلى الفرات حتى يشرب أو يموت، وأنت تعلم أنّه الشجاع المُطْرِق (أي القوي)، ومعه أهل العراق وأهل الحجاز، وقد سمعته أنا وأنت وهو يقول: لو استمكنت من أربعين رجلاً، فذكر أمراً – يعني لو أنّ معي أربعين رجلاً يوم فُتّش البيت - يعني بيت فاطمة (عليها السلام))[2].

---

(١) وقعة صفّين:ص ٢٢٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٥، ص ١٨٠.

(٢) وقعة صفّين:ص ١٦٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٣، ص ٣١٩.

وعن نصر أيضاً في ذكر طلب معاوية الشام من عليّ (عليه السلام) - قال: (قد رأيت أن أكتب إلى عليّ كتاباً أسأله الشام – وهو الشيء الأوّل الذي ردّني عنه - وأُلقي في نفسه الشكّ والريبة، فضحك عمرو بن العاص، ثمّ قال: أين أنت يا معاوية من خدعة عليّ؟! فقال معاوية: ألسنا بني عبد مناف؟

قال: بلى، ولكنّ لهم النبوّة دونك، وإنّ شئت أن تكتب فاكتب.

فكتب معاوية إلى عليّ مع رجل من السَّكاسِك (حي من اليمن)...

فلمّا انتهى كتاب معاوية إلى عليّ قرأه، ثمّ قال: العجب لمعاوية وكتابه، ثمّ دعا عليّ (عليه السلام) عبيد اللّه بن أبي رافع كاتبه فقال: اكتب...

فلمّا أتى معاوية كتاب عليّ كتمه عن عمرو بن العاص أيّاماً، ثمّ دعاه بعد ذلك فأقرأه الكتاب فشمت به عمرو.

ولم يكن أحد من قريش أشدّ تعظيماً لعليٍّ عليه السلام من عمرو منذ يوم لقيه وصفح عنه.

فقال عمرو بن العاص فيما كان أشار به على معاوية:

ألا للّه درّك يا ابن هندٍ

ودرّ الآمرين لك الشهودِ

أتطمع – لا أبا لك - في عليٍّ

وقد قُرع الحديد على الحديدِ
وترجو أن تحيّره بشكٍّ
وترجو أن يهابك بالوعـيدِ
وقد كشف القناع وجرّ حرباً
يشيب لهولها رأس الوليدِ
له جأواءُ (أي الكتيبة السوداء) مظلمة طحونٌ
فوارسها تلهّب كالأُســودِ
يقول لها إذا دَلَفَتْ إليه
وقد ملّت طعان القوم: عودي
فإن وردت فأوّلها ورداً
وإن صدّت فليس بذي صدودِ
وما هي من أبي حسنٍ بُنكْرٍ
وما هي من مسائك بالبعيدِ
وقلت له مقالة مستكينٍ
ضعيف الركن منقطع الوريدِ
دَعَنّ الشام حسبك يا ابن هند
من السوءات والرأي الزهيدِ
ولو أعطاكها ما ازددت عزّاً
ولا لك لو أجابك من مزيدِ
ولم تكسر بذاك الرأي عوداً

لِركّته ولا ما دون عودِ

فلمّا بلغ معاوية قول عمرو دعاه، فقال: يا عمرو، إنّني قد أعلم ما أردتَ بهذا.

قال: ما أردت؟ قال: أردت تفييل (أي تضعيفه) رأيي وإعظام عليّ، وقد فضَحَك (يقصد يوم انصرف عنه).

قال: أمّا تفييلي رأيك فقد كان، وأمّا إعظامي عليّاً فإنّك بإعظامه أشدّ معرفةً منّي، ولكنّك تطويه وأنا أنشره، وأمّا فضيحتي فلم يفتضح امرؤ لقي أبا حسن)[1].

وفي الأمالي للطوسي عن محمّد بن إسحاق الحضرمي قال: (استأذن عمرو بن العاص على معاوية بن أبي سفيان، فلمّا دخل عليه استضحك معاوية، فقال له عمرو: ما أضحكك يا أمير المؤمنين؟ أدام اللّه سرورك.

قال: ذكرت ابن أبي طالب وقد غشيك بسيفه فاتّقيته وولّيت.

فقال: أتشمت بي يا معاوية؟! وأعجب من هذا يوم دعاك إلى البراز فالتمع لونك، وأطّت أضلاعك، وانتفخ منخرك، واللّه لو بارزته لأوجع قذالك (مؤخر رأسك)، وأيتم عيالك، وبزّك سلطانك.

---

(١) وقعة صفّين:ص ٤٧٠-٤٧٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٥، ص ١٢٢-١٢٤.

وأنشأ عمرو يقول:

معاويَ لا تشمت بفارس بُهمةٍ
لقى فارساً لا تعتليه الفوارسُ
معاويَ لو أبصرت في الحرب مقبلاً
أبا حسن يهوي دهتك الوساوسُ
وأيقنت أنّ الموت حقّ وأنّهُ
لنفسك إن لم تمعن الركض خالسُ
دعاك فصمّت دونه الأُذن أذرعاً
ونفسك قد ضاقت عليها الأمالسُ
أتشمت بيَ إذ نالني حدُّ رمحهِ
وعضّضني ناب من الحرب ناهسُ
فأيّ امرئٍ لاقاه لم يلق شلوهُ
بمعترك تسفي عليه الروامسُ
أبى اللّه إلا أنّه ليث غابةٍ
أبو أشبل تُهدى إليه الفرائسُ
فإنّ كنت في شكّ فأرهج (الرهج الغبار) عجاجةً
وإلا فتلك التُرهات البسابسُ

فقال معاوية: مهلاً يا أبا عبد اللّه، ولا كلّ هذا.

قال: أنت استدعيته)[1].

وفي المناقب لابن شهرآشوب قال: (لّما نعي بقتل أمير المؤمنين دخل عمرو بن العاص على معاوية مبشّراً فقال: إنّ الأسد المفترش ذراعيه بالعراق لاقى شعوبه.

فقال معاوية:

قل للأرانب تربعْ حيث ما سلكتْ

وللظباء بلا خوف ولا حذرِ)[2].

وبعد استشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام) واستتباب أمر مصر لمعاوية أعطاها لعمرو بن العاص، ولكنه ما فتئ يطالبه بخراج مصر وعمرو يمانع، حتى بعث إليه معاوية مؤكداً ليبعث الخراج فأجابه عمرو بقصيدة طويلة يذكر فيها كيف ساندَه وخالف الحق لأجله وسنذكر بعضاً منها هنا، قال عمرو:

معاوية الفضل لا تنسَ لي

وعن سُبُلِ الحق لا تعدلِ

نسيتَ احتيالي في جُلَّقٍ

على أهلها يوم لبس الحلي

وقد أقبلوا زمراً يهرعون

---

(١) الأمالي للطوسي: ص ٢١٧/١٣٤، بشارة المصطفى: ٢٧٠ ص، وفي وقعة صفّين: ص٤٧٣.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب: ج٢، ص٨٥.

مهاليع كالبقَرِ الجُفَّلِ
وقولي لهم إن فرض الصلاة
بغير وجودك لم تقبل
فبي حاربوا سيد الأوصياء
بقولي: دمٌ طُلَّ من نعثل
وكدتُ لهم: أن أقيموا الرماح
عليها المصاحف في القسطل
فقام البغاة على حيدر
وكفّوا عن المشعل المصطلي
نسيتَ محاورة الأشعري
ونحن على دومة الجندل
ألينُ فيطمع في جانبي
وسهمي قد غاص في المقتلِ
خلعتُ الخلافة من حيدرٍ
كخلع النعال من الأرجل
وألبستها لك لما عجزت
كلبس الخواتم في الأنمل
ورقّيتك المنبر المشمخر
بلا حد سيف ولا منصل
وسيّرتُ ذكرك في الخافقين
كسير الجنوب من الشمأل

ولولاي كنت كمثل النساء
تعاف الخروج من المنزل
نصرناك من جهلنا يا ابن هند
على الملأ الأعظم الأفضل
وحيث رفعناك فوق الرؤوس
نزلنا إلى أسفل الأسفل
وكم قد سمعنا من المصطفى
وصايا مخصصة في علي
وفي يوم خمٍّ رقى منبراً
وبلّغ والركب لم يرحل
وفي كفِّه كفُّه معلناً
ينادي بأمر العزيز العلي:
ألست بكم منكمُ في النفوس
بأولى؟ فقالوا بلى فأفعل
فأنحله إمرة المؤمنين
من الله مستحلف المنحل
وقال: فمن كنت مولىً له
فهذا له اليوم نعم الولي
فوالِ مُواليه يا ذا الجلال
وعادِ معادي أخي المرسل
ولا تنقضوا العهد من عترتي

فقاطعُهم بيَ لم يوصل
فَبَخبَخَ شيخُك لَمّا رأى
عُرى عَقْدُ حيدر لم تُحلل
فقال له: ويلكم فاحفظوه
فمدخله فيكمُ مدخلي
وأما الذي كان من فعلنا
لفي النار في الدرك الأسفل
وما دمُ عثمان منجٍ لنا
من الله في الموقف المخجل
فما عذرنا يوم كشف الغطاء
لك الويل منه غداً ثم لي
ألا يا ابن هند أبعتُ الجنان
بعهد عهدتَ ولم توفِ لي؟
كأنك أُنسيتَ ليل الهرير
بصفين من هولها المهول
وقد بتَّ تذرق ذرق النعام
حذاراً من البطل المُقبل
وحين أزاح جيوش الضلال
ووافاك كالأسد المشبل
وقد ضاق منه عليك الخناق
وصار بك الرحب كالغلغل

وقولك يا عمرو أين المفر
من الفارس القسور العيبلِ؟
ولما ملكت حماة الأنام
ونالت عصاك يد الأول
منحت لغيري وزن الجبال
ولم تعطني زِنةَ الخردل
وإنك من إمرة المؤمنين
ودعوى الخلافة في معزل
ومالك فيها ولا ذرة
ولا لجدودك بالأول
فإن كان بينكما نسبة
فأين الحسام من المنجل
وأين الثرى من نجوم السماء؟
وأين معاوية من علي
فإن كنت فيها بلغت المنى
ففي عنقي رنّةُ الجُلجُلِ.

فلما سمع معاوية هذه الأبيات لم يتعرض له بعد ذلك)[1].

---

(١) راجع الغدير للعلامة الأميني: ج٢، ص ١١٤، وقال: (توجد منها نسختان في مجموعتين في المكتبة الخديوية بمصر كما في فهرستها المطبوع سنة ١٣٠٧ ج ٤ ص ٣١٤ وروى جملة منها ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٢ ص ٥٢٢ وقال: رأيتها بخط أبي

السيدة عائشة بنت أبي بكر

روى ابن أبي الحديد في شرح النهج (ج١، ص ٢٣) أنه لما ظفر أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم الجمل وأسر السيدة عائشة قالت له: (يا ابن أبي طالب ملكت فاصفح وظفرت فاسجع) فعفا عنها (عليه السلام) وأرسلها إلى المدينة وشايعها أميالاً ولم يرض على من سبّها وبعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبد القيس عممهن بالعمائم، وقلدهن بالسيوف، فلما كانت ببعض الطريق

ذكرته السوء، وتأففت وقالت: (هتك ستري برجاله وجنده الذين وكلهم بي)، فلما وصلت المدينة ألقى النساء عمائمهن، وقلن لها: إنما نحن نسوة.

فقالت: (ما ازددت والله يا ابن أبي طالب إلاّ كرماً).

زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي المتوفى ٥٠٢. وقال الإسحاقي في (لطايف أخبار الدول) ص ٤١: كتب معاوية إلى عمرو بن العاص: إنه قد تردد كتابي إليك بطلب خراج مصر وأنت تمتنع وتدافع ولم تسيّره، فسيّره إليّ قولاً واحداً وطلباً جازماً، والسلام. فكتب إليه عمرو بن العاص جواباً وهي القصيدة الجلجلية المشهورة التي أولها: معاوية الفضل لا تنس لي..)

عُبيد الله بن عمر

بعد أن قام أبو لؤلؤة بطعن عمر بن الخطاب ذهب ابنه عبيد الله فقتل أبا لؤلؤة ثم قتل الهرمزان، لأن أبا لؤلؤة كان مولى له من قبل، وطالب أمير المؤمنين (عليه السلام) بالقصاص من عبيد الله بدم الهرمزان إذ قتله بدون بينة ولا دليل، وإنما النفس بالنفس، فامتنع عثمان عن القصاص من عبيد الله، ولما ولي أمير المؤمنين (عليه السلام) الخلافة هرب عبيد الله إلى الشام ثم اشترك بالقتال ضد علي (عليه السلام) في صفين.

وروى نصر بن مزاحم قال: (بعث معاوية إلى عبيد الله بن عمر لما قدم عليه بالشام فأتى فقال له معاوية:

يا بن أخي، إن لك اسم أبيك، فانظر بملء عينيك، وتكلم بكل فيك، فأنت المأمون المصدق، فاصعد المنبر واشتم علياً، واشهد عليه أنه قتل عثمان.

فقال: يا أمير المؤمنين، أما شتمه فإنه علي بن أبي طالب، وأمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم، فما عسى أن أقول في حسبه، وأما بأسه فهو الشجاع المطرق. وأما أيامه فما قد عرفت، ولكني ملزمه دم عثمان.

فقال عمرو بن العاص: إذا والله قد نكأت القرحة)[1].

سعد بن أبي وقاص

كان سعد بن أبي وقاص من القاعدين عن بيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد مقتل عثمان وتعلل عن الامتناع عن البيعة فتركه أمير المؤمنين (عليه السلام) بما هو معروف من التأريخ.

وكان سعد ضمن الستة الذين اختارهم عمر بن الخطاب ليختارة خليفة للمسلمين من بعد، ومال سعد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى عثمان بن عفان بسبب من قتلهم أمير المؤمنين (عليه السلام) في بدر من بني زُهرة عشيرة سعد.

وروى المسعودي عن محمّد بن جرير الطبري، عن ابن أبي نجيح، قال: (لّما حجّ معاوية وطاف بالبيت ومعه سعد، فلمّا فرغ انصرف معاوية إلى دار الندوة، فأجلسه معه على سريره، ووقع معاوية في عليّ (عليه السلام) وشرع في سبّه[2].

---

(١) كتاب صفين لنصر بن مزاحم: ص ٩٢، شرح ابن أبي الحديد: ج١، ص ٢٥٦.

(٢) روى ابن حجر في فتح الباري: ج٧، ص ٦٠ أنه لما طلب معاوية من سعد أن يسبّ عليّاً قال سعد: لو وضع المنشار على مفرقي على أن أسبّ عليّاً ما سببته أبداً...

فزحف سعد، ثمّ قال: (أجلستني معك على سريرك ثمّ شرعت في سبّ عليّ (عليه السلام)، والله لئن يكون فيَّ خصلة واحدة من خصال كانت لعليّ (عليه السلام) أحبّ إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، والله لأن أكون صهراً لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وانّ لي من الولد ما لعليّ أحبّ إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس.

والله لئن يكون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لي ما قال له يوم خيبر: لأعطينّ الراية غداً رجلا يحبّه الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله، ليس بفرّار، يفتح الله على يديه، أحبّ إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس.

والله لئن يكون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لي ما قال له في غزوة تبوك: ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ انّه لا نبيّ بعدي؟ أحبّ إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس.

وأيم الله لا دخلت لك داراً ما بقيت، ثمّ نهض)[1] فاستهزأ معاوية بسعد ثم كاد له ومكر به.

---

(١) مروج الذهب: ج ٣، ص١٤ في ذكر خلافة معاوية بن أبي سفيان، تذكرة الخواصّ ١٨ ـ ١٩ رواه بالإجمال، وفي مصادر أخر.

عمر بن سعد بن أبي وقاص

عمر بن سعد قاتل الحسين (عليه السلام) وقائد الجيش الذي حاصره يوم عاشوراء، وكان ذلك الجيش رغم كثرة عدده في مقابل أصحاب الحسين القلائل بل في مقابل الحسين (عليه السلام) بمفرده لم يستطع أن يتصرف بنبل وألا أن يتعهد بموقف واحد، فبعد أن طلب منهم الإمام الحسين (عليه السلام) أن لا يتعرضوا لحرمه ما دام حياً، وأعطوه ذلك وبقي لوحده يقاتل، لم يستطيعوا مواجهته فصاروا يهجمون عليه إذا جاء لحرمه حتى اضطر (عليه السلام) للخروج إليهم راجلاً يتلقى السهم بصدره ونحره، قال ابن شهرآشوب في مناقب آل أبي طالب: (ج٣ ص٢٥٨): (وجعل -الحسين- يقاتل حتى قتل ألفاً وتسعمائة وخمسين سوى المجروحين، فقال عمر بن سعد لقومه: الويل لكم أتدرون من تبارزون هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتال العرب فاحملوا عليه من كل جانب).

وفي تأريخ الطبري روى أنه لما خاف عمر بن سعد من الحسين (عليه السلام) أن يفني الجيش قال: ويحكم هذا ابن الأنزع البطين هذا ابن قتّال العرب) وفي غيره (اهجموا عليه ما دام منشغلاً بحرمه والله لئن فرغ لكم ليبيدنكم عن آخركم).

ويعني عمر بن سعد بقتال العرب ما فعله أمير المؤمنين (عليه السلام) في معارك النبي بأعداء الإسلام وطواغيت العرب أيام الجهاد مع النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله).

عبد الحميد بن يحيى العامري الكاتب

كاتب لمروان بن محمّد آخر الحكام المروانيين وقتل في سقوط دولة بني أمية وكان يضرب به المثل في الكتابة والخطابة، قال: (حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع ففاضت ثم فاضت)[1] يعني به علياً (عليه السلام) إذ كانت -ولا زالت- خطبه (عليه السلام) ثروة للأدباء ما قرأها أحد إلا وظهر أثرها في نفسه.

معاوية بن أبي سفيان

قد يتفاجأ البعض حين يعلم أنني وجدت أن أكثر أعداء أمير المؤمنين (عليه السلام) الذين صدر منهم الثناء عليه هو أشد أعداءه وأبعدهم عن الإنصاف والشرف وأكثرهم استحلالاً للأدوات القذرة في الخصومة، وهو الذي سنّ سبّ أمير المؤمنين (عليه السلام) على المنابر، وهو معاوية بن أبي سفيان.

وهذا يوضح الغرض الذي شرعنا فيه بكتابة هذه السلسلة أي بيان عمق تأثير أمير المؤمنين (عليه السلام) على خصومة

---

(١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٤، المقدمة.

وفرض حجته في نفوس الأعداء حتى وهم يعيشون في أدحض مراتب البغض والخصومة وأكثرها حاجة لكتم الفضائل وأبعدها عن استبيان الحق ووضوحه فضلاً عن الاعتراف به على الملأ.

ومعاوية بن أبي سفيان رجلٌ تجمعت فيه كل الرذائل بحيث لم يجد من أراد تأبينه يوم موته إلا أن يقول: (ألا وإن معاوية مات ذهب هو وعمله).

معاوية عدو رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعدو أهل بيته، رفض الدخول إلى الإسلام ظاهراً بعد فتح مكة وهرب إلى اليمن وصار يوبخ أباه على دخول الإسلام ويدعوه إلى الاستمرار بالحرب حتى دعاه سراً وأفهمه نوع الحرب الجديدة التي آتت أكُلها المشؤوم أكثر من الحروب التي خاضها أبو سفيان بالسيف.

وليست المدائح التي صدرت من معاوية بحق أمير المؤمنين (عليه السلام) ناتجة من اعتداده بنفسه وإنصافه للعدو كما يفعل العظماء الشجعان فإن مثل معاوية لم تبق في كرامته وإنسانيته ما يؤهل لمثل هذه المواقف، ولكنها لحظات من تجلي النور القاهر الذي يغلب على دواعي النفس الأخرى لتكشف للناس أي تمزق يعيشه الإنسان المحارب للحق، وأي نوع من العذاب هو عذاب جهنم.

قال معاوية في بعض كلامه عن أمير المؤمنين (عليه السلام): هيهات هيهات، عقمت النساء أن يلدن مثله[1].

قال العلاّمة الحافظ المناوي الشافعي:

إنّ معاوية كان يرسل أُناساً يسألون عليّاً (عليه السلام) عن المشكلات، فكان عليّ (عليه السلام) يجيبه، فقال أحد بنيه: تجيب عدوّك؟!

قال (عليه السلام): أما يكفينا أن احتاجنا وسألنا[2]؟.

وأخرج أحمد بن حنبل وآخرون من حفّاظ أهل السنّة ومفسّريهم بإسنادهم عن قيس بن أبي حازم أنّه قال: (إنّ رجلا سأل معاوية عن مسألة، فقال: اسأل عنها عليّاً فهو أعلم.

فقال: يا أمير المؤمنين، جوابك فيها أحبّ إليَّ من جواب عليّ.

قال معاوية: بئس ما قلت، لقد كرهت رجلاً كان رسول الله يغرّه بالعلم غرّاً، ولقد قال له: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ انّه لا نبيّ بعدي، وكان عمر إذا أشكل عليه شيء أخذ منه ـ ويلجأ إلى عليّ في حلّ مسائله ـ .

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١١، ص ٢٥٣.

(٢) فيض القدير: ج ٤، ص٣٥٦ ح ٥٥٩٣ : عليّ عيبة علم، عن شرح الحمزية

ثم قال معاوية للرجل: قم لا أقام الله رجليك، ومحا اسمه من الديوان)[1].

وروى عنه ابن حجر: (ولقد كان عمر يسأله ويأخذ عنه ولقد شهدته إذا أشكل عليه شيء قال: هاهنا عليّ، قم لا أقام الله رجليك)[2].

وأخرج العلاّمة الحافظ ابن عساكر وآخرون من أعلام الحديث والتاريخ من أهل السنّة بإسنادهم قالوا: (حجّ معاوية بن أبي سفيان فمرّ بالمدينة فجلس في مجلس فيه سعد بن أبي وقّاص وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عبّاس، فالتفت إلى عبد الله بن عباس فقال: يا ابن عبّاس، إنّك لم تعرف حقّقنا من باطل غيرنا... .

---

(١) فضائل الصحابة: ج٢، ص٦٧٥، ح ١١٥٣، مناقب أمير المؤمنين لأحمد بن حنبل: ص١٩٧ ح ٢٧٥، مناقب عليّ بن أبي طالب لابن المغازلي: ص٣٤ ح ٥٢، ذخائر العقبى: ص٧٩، الرياض النضرة: ج٣، ص١٦٢، تاريخ مدينة دمشق ١٧٠/٤٢ ـ ١٧١، فرائد السمطين: ج١، ص٣٧١ باب ٦٨ ح ٣٠٢، جواهر العقدين: القسم الثاني، ص ٢٠٥، الصواعق المحرقة: ص١٧٩ واكتفى ابن حجر في كتابه هذا بذكر حديث المنزلة فقط، نظم درر السمطين: ص١٣٤، فيض القدير: ج٣، ص٤٦، ح ٢٧٠٥ (أنا مدينة العلم وعليّ بابها).

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ج٧، ص٧٠.

وقرعه ابن عبّاس بجواب فحار منه معاوية، فتركه وأقبل على سعد فقال: يا أبا إسحاق، أنت الّذي لم تعرف حقّنا وجلس فلم يكن معنا ولا علينا.

فقال سعد: فإنّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول لعليّ: أنت مع الحقّ والحقّ معك حيثما دار.

فقال معاوية: لتأتينّي على هذا ببيّنة.

فقال سعد: هذه أُمّ سلمة تشهد على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقاموا جميعاً فدخلوا على أُمّ سلمة فقالوا: يا أُمّ المؤمنين، إنّ الأكاذيب قد كثرت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا سعد يذكر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما لم نسمعه انّه قال ـ لعليّ ـ: أنت مع الحقّ والحقّ معك حيثما دار.

فقالت أُمّ سلمة: في بيتي هذا، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعليّ (عليه السلام).

فقال معاوية لسعد: يا أبا إسحاق، ما كنت ألومَ الآن ـ أي انّك يا سعد ألوم الناس عندي ـ إذ سمعت هذا من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وجلست عن عليّ (عليه السلام)،

لو سمعتُ هذا من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) لكنتُ خادماً لعليّ (عليه السلام) حتى أموت)[١].

وروى المسعودي عن محمّد بن جرير الطبري، عن ابن أبي نجيح، مثله مع شيء من الزيادة[٢].

وفي سير أعلام النبلاء عن عبيد: جاء أبو مسلم الخولاني وأُناس إلى معاوية وقالوا: أنت تنازع عليّاً، أم أنت مثله؟ فقال: لا واللّه، إنّي لأعلم أنّه أفضل منّي وأحقّ بالأمر منّي[٣].

تاريخ دمشق عن أبيإسحاق: جاء ابن أحور التميمي إلى معاوية فقال: يا أمير المؤمنين! جئتك من عند ألأم الناس! وأبخل الناس! وأعيى الناس! وأجبن الناس! فقال ﴿له معاوية﴾: ويلك!

---

(١) تأريخ مدينة دمشق: ج٢٠، ص٣٦٠ ترجمة سعد بن أبي وقّاص، المناقب للسروي: ج٣، ص٦٢ أخرجه عن كتاب اعتقاد أهل السنّة لعبد العزيز الأشهي الشافعي، مجمع الزوائد: ج ٧، ص٢٣٥ عن مسند البزّار، أرجح المطالب: ص٦٠٠ عن ابن مردويه، إحقاق الحقّ: ج ٥، ص٦٣١ أخرجه عن مفتاح النجاة للبدخشي: ص٦٦.

(٢) مروج الذهب: ج ٣، ص١٤ في ذكر خلافة معاوية بن أبي سفيان، تذكرة الخواصّ: ص ١٨ - ١٩

(٣) سير أعلام النبلاء: ٢٥/١٤٠/٣، تاريخ دمشق: ١٣٢/٥٩، البداية والنهاية: ١٢٩/٨ وراجع وقعة صفّين:٨٥.

وأنّى أتاه اللؤم، ولَكُنّا نتحدّث أن لو كان لعليّ بيت من تبن وآخر من تِبْر(أي ذهب) لأنفد التبر قبل التبن؟!

وأنّى أتاه العيّ وإن كنّا لنتحدّث أنّه ما جرت المواسي على رأس رجل من قريش أفصح من عليّ؟!

ويلك! وأنّى أتاه الجُبن وما برز له رجل قطّ إلا صرعه؟! واللّه يا ابن أحور لولا أنّ الحرب خدعة لضربت عنقك، اُخرج فلا تقيمنّ في بلدي[1].

وفي الإمامة والسياسة: ذكروا أنّ عبد اللّه بن أبي مِحْجَن الثقفي قدم على معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي أتيتك من عند العييّ الجبان البخيل ابن أبي طالب.

فقال معاوية: للّه أنت! أتدري ما قلت؟ أمّا قولك: العييّ، فوَاللّه لو أنّ ألسن الناس جمعت فجعلت لساناً واحداً لكفاها لسان عليّ، وأمّا قولك: إنّه جبان، فثكلتك أُمّك، هل رأيت أحداً قطّ بارزه إلا قتله؟ وأمّا قولك: إنّه بخيل، فوَاللّه لو كان له بيتان أحدهما من تِبر والآخر من تبن، لأنفد تبره قبل تبنه.

فقال الثقفي: فعَلامَ تقاتله إذن؟

قال: على دم عثمان، وعلى هذا الخاتم، الذي من جعله في يده جادت طينته، وأطعم عياله، وادّخر لأهله.

---

(١) تاريخ دمشق: ٤١٤/٤٢.

فضحك الثقفي ثمّ لحق بعليّ، فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي يديّ بجرمي، لا دنيا أصبت ولا آخرة.

فضحك عليّ، ثمّ قال: أنت منها على رأس أمرك، وإنّما يأخذ اللّه العباد بأحد الأمرين[1].

وفي الاستيعاب: كان معاوية يكتب فيما ينزل به ليسأل له عليّ بن أبي‌طالب (رضي اللّه عنه) عن ذلك، فلمّا بلغه قتله قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب، فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام، فقال له: دعني عنك[2].

وروي أنه لّما جيء لمعاوية بنعي عليّ بن أبي‌طالب (عليه السلام) وهو قائل (من القيلولة) مع امرأته ابنة قرظة في يوم صائف فقال: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، ماذا فقدوا من العلم والخير والفضل والفقه؟

قالت امرأته: بالأمس كنت تطعن في عينيه وتسترجع اليوم عليه! قال: ويلك! لا تدرين ماذا فقدوا من علمه وفضله وسوابقه![3].

---

(١) الإمامة والسياسة: ١٣٤/١؛ شرح الأخبار: ٩٨/٢ نحوه وراجع شرح نهج البلاغة: ٢٤/١ وكشف الغمّة: ٤٧/٢.

(٢) الاستيعاب: ١٨٧٥/٢٠٩/٣؛ العدد القويّة: ٦١/٢٥٠.

(٣) تاريخ دمشق: ٥٨٣/٤٢.

وأخرج العلاّمة الجويني بسنده قال: اجتمع الطرمّاح الطائي وهشام المرادي ومحمّد بن عبد الله الحميري ـ وهم من أشهر شعراء العرب ـ عند معاوية، فأخرج ـ معاوية ـ بِدرة ووضعها بين يديه فقال: يا شعراء العرب، قولوا قولكم في عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ولا تقولوا إلاّ الحقّ، فأنا نفيّ عن صخر بن حرب ـ أي أنّي منفي ولست ابن صخر ـ إن أعطيت هذه البدرة إلاّ من قال الحقّ في عليّ.

فقام الطرمّاح فتكلّم في عليّ (عليه السلام) ووقع فيه.

فقال له معاوية: اجلس فقد علم الله نيّتك ورأى مكانك.

ثم قام هشام المرادي فقال ووقع فيه.

فقال له معاوية: اجلس مع صاحبك قد علم الله نيّتكما ورأى مكانكما.

ثم قال عمرو بن العاص لمحمّد بن عبد الله الحميري: تكلّم ولا تقل إلاّ الحقّ في عليّ.

ثمّ قال: يا معاوية، قد آليت أن لا تعطي هذه البدرة إلاّ قائل الحقّ في عليّ؟

قال معاوية: نعم، أنا نفيّ صخر بن حرب إن أعطيت هذه البدرة إلاّ من قال الحقّ في عليّ.

فقام محمّد بن عبد الله فتكلّم فقال:

بحقّ محمّد قولوا بحق فإنّ الإفك من شيم اللئام

أبعد محمّد بأبي وأُمّي رسول الله ذي الشرف التهامي
أليس عليّ أفضل خلق ربّي وأشرف عند تحصيل الأنام؟
ولايته هي الإيمان حقّاً فذرني من أباطيل الكلام
وطاعة ربّنا فيها وفيها شفاء للقلوب من السّقام
عليٌّ إمامنا بأبي وأُمّي أبو الحسن المطهّر من حرام
إمام هدى أتاه الله علماً به عُرف الحلال من الحرام
ولو أ نّي قتلت النفس حبّاً له ما كان فيها من أثام
يحلّ النار قوم أبغضوه وإن صلّوا وصاموا ألف عام
ولا والله لا تزكو صلاة بغير ولاية العدل الإمام
أمير المؤمنين بك اعتمادي وبالغرّ الميامين اعتصامي
فهذا القول لي دين وهذا إلى لقياك يا ربّي كلامي
برأت من الّذي عادى عليّاً وحاربه منَ أولاد الطغام
تناسوا نصبه في يوم خمّ من الباري ومن خير الأنام
برغم الأنف من يشنأ كلامي عليّ فضله كالبحر طامي
وأبرأ من أُناس أخّروه وكان هو المقدَّم بالمقام
عليّ هزَّم الأبطال لّما رأوا في كفّه برق الحسام

فقال معاوية: أنت أصدقهم قولاً فخذ البدرة[1].

---

(١) فرائد السمطين: ج١، ص٣٧٥ باب ٦٨ ح ٣٠٥، الغدير: ج٢، ص١٧٧، بشارة المصطفى: ص١١

وأخرج العلاّمة المحدّث البيهقي قال: (قال معاوية ذات يوم وعنده أشراف الناس من قريش وغيرهم: أخبروني بخير الناس أباً وأُمّاً وعمّاً وعمّة وخالاً وخالة وجدّاً وجدّة.

فقام مالك بن عجلان فأومأ إلى الحسن (عليه السلام) فقال:ها هو ذا، أبوه عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وأُمّه فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعمّه جعفر الطيّار في الجنّات، وعمّته أُمّ هانئ بنت أبي طالب، وخاله القاسم بن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وخالته زينب بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وجدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وجدّته خديجة بن خويلد (عليها السلام).

فسكت القوم ونهض الحسن (عليه السلام) فأقبل عمرو بن العاص على مالك فقال: حبّ بني هاشم حملك على أن تكلّمت بالباطل؟

فقال ابن عجلان: ما قلت إلاّ حقّاً، وما أحد من الناس يطلب مرضاة مخلوق بمعصية الخالق إلاّ لم يعط أُمنيته في دنياه وختم له بالشقاء في آخرته، بنو هاشم أنضرهم عوداً، وأوراهم عوداً، أليس كذلك، يا معاوية؟

قال ـ معاوية ـ : نعم)[1].

---

(١) المحاسن والمساوئ: ٨٢ ـ ٨٣

وأخرج ابن عساكر الدمشقي في تاريخه حديثاً قريباً لهذا الحديث[١].

وروى العلاّمة ابن عبد ربّه الأندلسي حديثاً آخر ولعلّه غير المذكور آنفاً قال فيه:

سأل معاوية يوماً جلساءه: من أكرم الناس أباً وأُمّاً وجدّاً وجدّة وعمّاً وعمّة وخالا وخالة؟

فقالوا: أنت أعلم.

فأخذ ـ معاوية ـ بيد الحسن بن عليّ(عليه السلام) وقال: هذا، أبوه عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، وأُمّه فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وجدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وجدّته خديجة زوجة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعمّه جعفر، وعمّته هالة بنت أبي طالب، وخاله القاسم بن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وخالته زينب بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[٢].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٢٤٠/١٣، ترجمة الإمام عليّ(عليه السلام) لابن عساكر ١٢١/٣ في الهامش، ترجمة الإمام الحسن(عليه السلام) لابن عساكر: ١٣٨ ح ٢٢٩.

(٢) العقد الفريد: ٨٧/٥.

روى السيّد الشريف الرضي في نهج البلاغة، وغيره من أعلام الحديث وأرباب السير والتاريخ في مؤلّفاتهم: أنّ ضرار بن ضمرة وهو من أصحاب الإمام عليّ (عليه السلام) وشيعته دخل ذات يوم على معاوية بن أبي سفيان وكان ذلك بعد شهادة أمير المؤمنين (عليه السلام). وكان معاوية أراد قتله في من قتلهم من أصحاب الإمام، فلما رأى ما فيه من الزهد تركه.

فقال معاوية لضرار بن ضمرة: صف لي عليّاً؟

فقال ضرار: أو تعفيني؟

قال: بل صفه.

قال: أو تعفيني؟

قال: لا أعفيك.

فبدأ ضرار بذكر فضائل الإمام وخلقه وأدبه ثمّ قال: وأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وهو قائم في محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم (السليم هو ملدوغ الأفعى) ويبكي بكاء الحزين وكأ نّي أسمعه وهو يقول: يا دنيا يا دنيا، إليك عنّي، أبي تعرّضت أم إليّ تشوّقت؟ لا حان حينك، هيهات هيهات غرّي غيري، لا حاجة لي فيك، قد طلّقتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعيشك قصير وخطرك يسير وأملك حقير، آه من قلة الزاد، وطول الطريق، وبعد السفر، وعظيم المورد[1].

---

(١) نهج البلاغة: ٤٨٠ قصار الحكم ٧٧.

فذرفت دموع معاوية حتى خرّت على لحيته فما يملكها وهو ينشفها بكمّه وقد اختنق القوم بالبكاء، ثمّ قال معاوية: رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك. فكيف حزنك عليه يا ضرار؟

قال: حزن من ذبح ولدها في حجرها فلا ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها[1].

وأخرج العلاّمة الحافظ ابن عساكر بسنده عن جابر قال: كنّا عند معاوية فذكر عليّ(عليه السلام) فأحسن ذكره وذكر أبيه وأُمّه ثمّ قال: وكيف لا أقول هذا لهم وهم خيار خلق الله وعترة نبيّه أخيار أبناء أخيار (وعنده بنيه أخيار أبناء أخيار ل خ)[2].

وروى العلاّمة السروي: كتب ملك الروم إلى معاوية يسأله عن خصال، فكان فيما سأله: أخبرني عن لا شيء، فتحيّر معاوية وعجز عن الجواب، وكان آنذاك في صفّين.

---

(١) مروج الذهب: ج٣، ص١٦، الاستيعاب: ج ٣، ص١١٠٧ ترجمة الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) رقم ١٨٥٥، الفتوحات الإسلامية: ج ٢، ص٤٥٣ - ٤٥٨، ربيع الأبرار: ج ١، ٩٧، صفة الصفوة: ج ١، ص٣١٥، الرياض النضرة: ج ٣، ص١٨٧، حلية الأولياء: ج ١، ص٨٤- ٨٥، ذخائر العقبى: ص١٠٠، الصواعق المحرقة: ص ١٣١ - ١٣٢، الإتحاف بحبّ الأشراف: ص٢٥، المستطرف للأبشيهي: ج١، ص١٣٧، نظم درر السمطين: ص١٣٤ - ١٣٥، الأمالي للصدوق: ص ٧٢٤ ح ٩٩٠، كنز الفوائد: ج ٢، ص١٦٠.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ج٤٢، ص٤١٥ ترجمة الإمام عليّ (عليه السلام).

فقال عمرو بن العاص: وجّه فرساً إلى معسكر عليّ(عليه السلام) ليباع ـ أي يبيع الفرس ـ فإذا قيل للّذي هو معه بكم؟ يقول: بلا شيء، فعسى أن تخرج المسألة.

فجاء الرجل إلى عسكر عليّ (عليه السلام) إذ مرّ به عليّ (عليه السلام) ومعه قنبر فقال: يا قنبر، ساومه.

فقال قنبر: بكم الفرس؟

قال: بلا شيء.

قال عليّ (عليه السلام): يا قنبر، خذ منه.

قال الرجل: أعطني لا شيء.

فأخرجه إلى الصحراء وأراه السراب، فقال: ذلك لا شيء، ثمّ قال (عليه السلام): اذهب فخبّره.

قال الرجل: وكيف؟

قال (عليه السلام): أما سمعت بقول الله تعالى: ﴿كَسَرَاب بِقِيعَة يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً﴾[1].

وأخرج العلاّمة الحافظ المتّقي الهندي بإسناده عن أبي الوضين قال: إنّ رجلا تزوّج إلى رجل من أهل الشام ابنة له ابنة مهيرة، فزوّجه وزفّ إليه ابنة له أُخرى بنت فتاة فسألها الرجل بعدما دخل بها: ابنة من أنت؟ فقالت: ابنة فلانة تعني الفتاة، فقال: إنّما تزوّجت إلى أبيك ابنة المهيرة. فارتفعوا إلى معاوية بن

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب السروي: ج ٢، ص٣٨٢.

أبي سفيان فقال: امرأة بامرأة. وسأل من حوله من أهل الشام. فقالوا: امرأة بامرأة.

فقال الرجل لمعاوية: ارفعنا إلى عليّ بن أبي طالب.

فقال: اذهبوا إليه، فأتوا عليّاً. فرفع عليّ (عليه السلام) شيئاً من الأرض وقال: القضاء في هذا أيسر من هذا، لهذه ما سقت إليها بما استحللت من فرجها، وعلى أبيها أن يجهّز الأُخرى بما سقت إلى هذه ولا تقربها حتى تنقضي عدّة هذه الأُخرى.

قال أبو الوضين: وأحسب أنّه (عليه السلام) جلد أباها أو أراد أن يجلده[1].

وأخرج مالك والشافعي وسعيد بن منصور بن شعبة المروزي وعبد الرّزاق والبيهقي بإسنادهم جميعاً عن سعيد بن المسيّب قال: إنّ رجلاً من أهل الشام يقال له ابن خيبري وجد مع امرأته رجلاً فقتله أو قتلهما معاً، فأشكل على معاوية بن أبي سفيان القضاء فيه، فكتب إلى أبي موسى الأشعري يسأل له عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) عن ذلك.

فسأل أبو موسى عن ذلك عليّ بن أبي طالب (عليه السلام).

---

(١) كنز العمّال: ج ٥، ص٨٣٦، ح ١٤٥١٣ خرّجه عن ابن أبي شيبة، المناقب للسروي: ج ٢، ص ٣٧٦.

فقال له عليّ (عليه السلام): إنّ هذا الشيء ما هو بأرضي، عزمت عليك لتخبرني.

فقال له أبو موسى: كتب إليَّ معاوية بن أبي سفيان أن أسألك عن ذلك.

فقال عليّ (عليه السلام): أنا أبو الحسن القرم (أي المقدّم في الرأي) إن لم يأت بأربعة شهداء فليعط برمّته[1].

قال ابن شهرآشوب: إن كان الزاني محصناً فلا شيء على قاتله لأنّه قتل من يجب عليه القتل[2].

وروي أنه لما وقع عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) لمالك الأشتر في يد معاوية، جعل معاوية ينظر فيه بتمعّن فتعجّب منه، فتحيّر بما رآه في ذلك العهد وعزم على أن يحتفظ به.

---

(١) الموطّأ: ج ٢، ص٧٣٨ كتاب الأقضية باب ١٩ باب القضاء فيمن وجد مع امرأته رجلا ح ١٨، مسند الشافعي: ج ٢، ص٣٦٢ - ٣٦٣، كتاب الجنائز والحدود، السنن الكبرى: ج ٨، ص٢٣٠، وج١٠، ص١٤٧، كنز العمّال: ج ١٥، ص٨٣- ٨٤، ح ٤٠١٩٨ أخرجه عن الشافعي، وعبد الرّزاق وسعيد بن منصور والبيهقي. تيسير الوصول: ج ٤، ص٨٦ باب من قتل زانياً بغير بيّنة ح ١، السيرة الحلبية: ج ٣، ص١٤٩.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب: ٤١/٢.

فقال الوليد بن عقبة لما رأى إعجابه: مُرْ بهذه الأحاديث أن تحرق.

فقال له معاوية: مه، لا رأي لك.

فقال الوليد: أفمن الرأي أن يعلم الناس أنّ أحاديث أبي تراب عندك تتعلّم منها؟

قال معاوية: ويحك، أتأمرني أن أحرق علماً مثل هذا؟! والله ما سمعت بعلم هو أجمع منه ولا أحكم.

فقال الوليد: إن كنت تعجب من علمه وقضائه فعلام تقاتله؟

فقال: لولا أنّ أبا تراب قتل عثمان ثمّ أفنانا لأخذنا عنه، ثمّ سكت هنيهة، ثمّ نظر إلى جلسائه فقال: دعوني أنظر فيه لأنّي ما سمعت أحكم منه وأتقن وفيه آداب الحكم والقضاء والسياسة[1].

أخرج المؤرّخ ابن عبد البرّ القرطبي: كان معاوية يكتب فيما ينزل به ليسأل له عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) عن ذلك، فلمّا بلغه قتله قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب.

فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام.

فقال له: دعني عنك[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ج٦، ص٧٤ - ٧٥.

(٢) الاستيعاب: ج٣، ص١١٠٨، الفتوحات الإسلامية: ج٢، ص٤٥٣، فتح الملك العليّ للغماري: ص٤٤، وغيرها.

وقال ابن أبي الحديد: لّما دعا الإمام عليّ (عليه السلام) معاوية في صفّين إلى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما، قال له عمرو: لقد أنصفك.

فقال معاوية: ما غششتني منذ نصحتني إلاّ اليوم، أتأمرني بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أ نّه الشجاع المطرق؟! أراك طمعت في أمارة الشام بعدي[1].

وأخرج العلاّمة المتّقي الهندي عن الحافظ سعيد بن منصور بإسناده عن الشعبي قال: قال أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام): الحمد لله الّذي جعل عدوّنا يسألنا عمّا نزل به من أمر دينه، إنّ معاوية كتب إليّ يسألني عن الخنثى. فكتبت إليه: أن ورّثه من قِبل مباله[2].

وروي عن معاوية أنه سأل عقيل بن أبي طالب عن خبر الحديدة.

فقال عقيل: نعم، أقويت وأصابتني مخمصة شديدة فسألته فلم تندَ صَفاته، فجمعت صبياني وجئته بهم، والبؤس والضرّ ظاهران عليهم.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ج ١، ص٢٠ و ج ٥، ص٢١٧، محاضرات الأُدباء للجاحظ: ج ١، ص ١٣١.

(٢) كنز العمّال: ج ١١، ص٨٣، ح ٣٠٧٠١.

فقال (عليه السلام): ائتني عشيّة لأدفع إليك شيئاً، فجئته يقودني أحد ولدي فأمره بالتنحّي، ثمّ قال: ألا فدونك فأهويت ـ حريصاً قد غلبني الجشع ـ أظنّها صرّة فوضعت يدي على حديدة تلتهب، فلمّا قبضتها نبذتها وخِرت كما يخور الثور تحت يد جازره.

فقال (عليه السلام): ثكلتك أُمّك! أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه ـ بنار هذه الدنيا ـ وتجرّني إلى نار سجّرها جبّارها لغضبه! أتئنّ من الأذى ولا أئنّ من لظى؟ ثم قرأ: ﴿إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾.

ثم قال: ليس لك عندي فوق حقّك الّذي فرضه الله لك إلاّ ما ترى، فانصرف إلى أهلك.

فجعل معاوية يتعجّب من هذه الحكاية ويقول: هيهات هيهات، عقمت الأُمّهات أن يلدن مثله[1].

وروى الخوئي في منهاج البراعة: ج ٩، ص١٢٧: (ولما بلغ إلى معاوية نعي أمير المؤمنين فرح فرحاً شديداً وقال: إنّ الأسد الّذي كان يفترش ذراعيه في الحرب (العراق) قد قضى نحبه، ثمّ قال:

قل للأرانب ترعى أينما سرحت
وللضباء بلا خوف ولا وجلِ

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢٥٣/١١ ـ ٢٥٤، ربيع الأبرار ٨٠/٣ باب ٥٢.

ونختم الكتاب بهذه الأبيات الشعرية للحافظ البرسي:

روى فضله الحسّاد من عظم شأنه
وأكبر فضل راح يرويه حاسدُ
محبُّوه أخفَوا فضله خيفة العدى
وأخفاهُ بعضاً حاسدٌ ومعاند
وشاعت له من بين ذينِ مناقب
تجلُّ بأن تحصى وإن عدّ قاصد
إمامٌ له في جَبهة المجدِ أنجُمٌ
علَت فعَلَتْ ان يدن هاتيك راصد
لَها فوق مرفوع السماك منابر
وفي عنق الجوزاء منها قلائد
مناقب إن جَلّت جَلَتْ كلّ كربة
وطابت فطابت من شذاها المشاهد
إمام مبين كلّ فضل له حَوى
بمدحته التنزيل والذكر شاهد

تم الكتاب بحمد الله في الليلة السابعة عشر من شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٧ للهجرة، ذكرى معركة بدر الكبرى.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه ونور بريته محمد وآله الطيبين الطاهرين.

جدول محتويات الكتاب

العنوان	ص
مقدمة	٣
الناس بحاجة إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام)	٣
هيبته (عليه السلام) في نفوس أعدائه	١٢
طلحة بن عثمان: كنت أعلم أنه لم يجسر علي غيرك	١٤
الأخت تعزي نفسها بأن قاتل أخيها هو علي بن أبي طالب (أخت عمرو بن عبد ود)	١٨
مروان بن الحكم: علي أبرأ الناس من دم عثمان ولكن الأمر لا يستقيم لنا إلا بسبه	٢٣
بنو أمية يفضلون أن يكون علي بإزائهم دون غيره	٢٨
يسبون علياً (عليه السلام) وهم يعلمون أنه خير الناس	٣٠
فرسان بني أمية: إن أمرنا وأمر علي بن أبي طالب عجب!	٣٢
عمرو بن العاص يعلم نُبل عليّ ولكن يحاربه لأجل الدنيا	٣٧
السيدة عائشة بنت أبي بكر	٥٣

العنوان	ص
عُبيد الله بن عمر	٥٤
سعد بن أبي وقاص	٥٥
عمر بن سعد بن أبي وقاص	٥٧
عبد الحميد بن يحيى العامري كاتب بني أمية	٥٨
معاوية بن أبي سفيان	٥٨
جدول محتويات الكتاب	٨٩